20 me. année No 997

Le Caire 11 - 8 - 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ـصـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ١١ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

العبيد..

« هذا المقال منع من النشر فى عهد الطغيان . وهو اليوم هدية للأحرار الذين طهروا الوادى وكرموه »

للأستاذ سيد قطب

ليس العبيد هم الذين تقهرهم الأوضاع الاجتماعية ، والظروف الاقتصادية ، على أن يكونوا رقيقا ، يتصرف فيهم السادة كما يتصرفون فى السلع والحيوان ، إنما العبيد الذين تعفيهم الأوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية من الرق ، ولكنهم يتهافتون عليه طائعين !

العبيد هم الذين يملكون القصور والضياع ، وعندهم كفايتهم من المال ، ولديهم وسائلهم للعمل والإنتاج ، ولا سلطان لأحد عليهم فى أموالهم أو أرواحهم . . وهم مع ذلك يتزاحمون على أبواب السادة ، ويتهافتون على الرق والخدمة ، ويضعون بأنفسهم الأغلال فى أعناقهم ، والسلاسل فى أقدامهم ، ويلبسون شارة العبودية فى مباهاة واختيال !

العبيد هم الذين يقفون بباب السادة يتزاحمون وهم يرون بأعينهم كيف يركل السيد عبيده الأذلاء فى الداخل بكعب حذائه . كيف يطردهم من خدمته دون إنذار أو إخطار . كيف يطأطئون هاماتهم له فيصفع أقفيتهم باستهانة ، ويأمر بإلقائهم خارج الأعتاب ، ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون على الأبواب ، يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطرودين ، وكلما أمعن السيد فى احتقارهم زادوا تهافتا كالذباب !

العبيد هم الذين يهربون من الحرية ، فإذا طردهم سيد بحثوا عن سيد آخر ، لأن فى نفوسهم حاجة ملحة إلى العبودية . لأن لهم حاسة سادسة . . أو سابعة ، حاسة الذل . . لابد لهم من إروائها ، فإذا لم يستعبدهم أحد أحست نفوسهم بالظمأ إلى الاستعباد ، وتراموا على الأعتاب ، يتمسحون بها ، ولا ينتظرون حتى الإشارة من إصبع السيد ، ليخروا له ساجدين !

العبيد هم الذين إذا أعتقوا وأطلقوا حسدوا الأرقاء الباقين فى الحظيرة ، لا الأحرار المطلقي السراح ، لأن الحرية تخيفهم ، والكرامة تثقل كواهلهم ، لأن حزام الخدمة فى أوساطهم هو شارة الفخر التى يتزون بها ، ولأن القصب الذى يرصع ثياب الخدمة هو أبهى الأزياء التى يتعشقونها !

العبيد هم الذين يحسون النير لا فى الأعناق ولكن فى الأرواح ، الذين لا تلهب جلودهم سياط الجلد ، ولكن تلهب نفوسهم سياط الذل ، الذين لا يقودهم النخاس من حلقات فى آذانهم ، ولكنهم يقادون بلا نخاس ، لأن النخاس كامن فى دمائهم .

العبيد هم الذين لا يجدون أنفسهم إلا فى سلاسل الرقيق ، وفى حظائر النخاسين ، فإذا انطلقوا تاهوا فى خضم الحياة وضلوا فى زحمة المجتمع ، وفزعوا من مواجهة النور ، وعادوا طائعين

يدقون أبواب الحظيرة ، ويتضرعون للحراس أن يفتحوا لهم الأبواب !

* * *

والعبيد — مع هذا — جبارون فى الأرض ، غلاظ على الأحرار شداد ، يتطوعون للتنكيل بهم ، ويلتذون إيذاءهم وتعذيبهم ، ويتشفون فيهم تشفى الجلادين العتاة !

إنهم لا يدركون بواعث الأحرار للتحرر ، فيحسبون التحرر تمردا ، والاستعلاء شذوذا ، والعزة جريمة ، ومن ثم يصبون نقمتهم الجامحة على الأحرار المتزين ، الذين لا يسيرون فى قافلة الرقيق !

إنهم يتسابقون إلى ابتكار وسائل التنكيل بالأحرار ، تسابقهم إلى إرضاء السادة ، ولكن السادة مع هذا علونهم ويطردونهم من الخدمة ؛ لأن مزاج السادة يدركه السأم من تكرار اللعبة ، فيغيرون اللاعبين ويستبدلون بهم بعض الواقفين على الأبواب

* * *

ومع ذلك كله فالمستقبل للأحرار . المستقبل للأحرار لا للعبيد ولا للسادة الذين يتمرغ على أقدامهم العبيد . المستقبل للأحرار لأن كفاح الإنسانية كلها فى سبيل الحرية لن يضيع . لأن حظائر الرقيق التى هدمت لن تقام ، ولأن سلاسل الرقيق التى حطمت لن يعاد سبكها من جديد !

إن العبيد يتكاثرون نعم ؛ ولكن نسبة الأحرار تتضاعف والشعوب بكاملها تنضم إلى مواكب الحرية ، وتنفر من قوافل الرقيق ؛ ولو شاء العبيد لانضموا إلى مواكب الحرية ؛ لأن قبضة الجلادين لم تعد من القوة بحيث تمسك بالزمام ، ولأن حطام العبودية لم يعد من القوة بحيث يقود القافلة ؛ لولا أن العبيد كما قلت هم الذين يدقون باب الحظيرة ، ليضعوا فى أنوفهم الخطام !

ولكن مواكب الحرية تسير ؛ وفى الطريق تنضم إليها الألوف والملايين . . وعبثا يحاول الجلادون أن يعطلوا هذه المواكب أو يشتتوها بإطلاق العبيد عليها . عبثا تفلح سياط العبيد ولو مزقت جلود الأحرار . عبثا ترتد مواكب الحرية بعدما حطمت السدود ؛ ورفعت الصخور ، ولم يبق فى طريقها إلا الأشواك !

إنما هى جولة بعد جولة . وقد دلت التجارب الماضية كلها على أن النصر كان للحرية فى كل معركة نشبت بينها وبين العبودية . لقد تدمى قبضة الحرية ولكن الضربة القاضية دائما تكون لها . وتلك سنة الله فى الأرض ، لأن الحرية هى الغاية البعيدة فى قمة المستقبل ، والعبودية هى النكسة الشاذة إلى حضيض الماضى !

إن قافلة الرقيق تحاول دائما أن تعترض موكب الحرية .. ولكن هذه القافلة لم تملك أن تمزق المواكب يوم كانت تضم القطيع كله ، والموكب ليس فيه إلا الطلائع ؛ فهل تملك اليوم وهى لا تضم إلا بقايا من الأرقاء أن تعترض الموكب الذى يشمل البشرية جميعا ؟

وعلى الرغم من ثبوت هذه الحقيقة ، فإن هنالك حقيقة أخرى لا تقل عنها ثبوتا ؛ إنه لابد لموكب الحريات من ضحايا .. لابد أن تمزق قافلة الرقيق بعض جوانب الموكب . لابد أن تصيب سياط العبيد بعض ظهور الأحرار . لابد للحرية من تكاليف . إن للعبودية ضحاياها وهى عبودية ، أفلا يكون للحرية ضحاياها وهى الحرية ؟

هذه حقيقة وتلك حقيقة . ولكن النهاية معروفة والغاية واضحة والطريق مكشوف والتجارب كثيرة ، فلندع قافلة الرقيق وما فيها من عبيد تزين أوساطهم الأحزمة وتحلى صدورهم القصب ، ولنتطلع إلى موكب الأحرار وما فيه من رؤوس تزين هاماتها مياسم التضحية ، وتحلى صدورها أوسمة الكرامة . ولنتابع خطوات الموكب الوئيدة فى الدرب المفروش بالشوك ، ونحن على يقين من العاقبة ، والعاقبة للصابرين ..

سيد قطب

كلمـــة صغيرة

للأستاذ (ع)

أكتب هذه الكلمة وأنا مريض فى المصيف فى (مضايا) ، قد هبط معى الضغط ، وضعف منى الجسم ، وانقطعت عن عمل اليد وعمل الدماغ ، ولذلك ما أخللت بعهدى ، وكان العهد أن أكتب إلى (الرسالة) مرتين فى الشهر . ولكن أخبار مصر ، ومن قبلها أخبار إيران ، تطرد المرض ، وتنهض الجسد ، وتهز من الحماسة الجبال ، وترقص الحجر ، فكيف أنام اليوم واليوم عزت بالإسلام العرب والعجم . واليوم استكمل الشرق يقظته إلا بقايا فى عينيه من الكرى وأقسم أن لن ينام ، واليوم أحس كل مسلم بأن الأمة التى يكون فيها من زعماء الدين أمثال حسن البنا والقاشانى ، ومن زعماء الدنيا أشباه نجيب ومصدق . لم تفقد عزتها ، ولم تدفن أمجادها فى قبور تاريخها ، ثم تسير بلا عزة ولا مجد ، بل إن لها من حاضرها أياما غرا محجلات لا يضر من رآها ألا يكون رأى تلك الأيام . لا ، لا يضر من حضر الجلاء عن الشام ، وإقامة إندونيسيا والباكستان ، وشهد ظفر الشعب فى طهران أمس وفى مصر اليوم ألا يكون قد حضر القادسية وشهد اليرموك

لقد تتالت علينا الأفراح ، وتتابعت البشائر حتى ما تستطيع أن تحتملها أعصابنا . إننا نعدو عدوا فى طريق الظفر لا نقدر أن نقف ساعة لنستريح ونلتقط أنفاسنا . هذا شعب إيران يهب هبة الرجل الواحد ، يحمل معه أكفانه ليثبت للدنيا أن الكفن فى يد المستميت أمضى من المدفع فى يد من يحب الحياة ويكره الموت ، وأن الرغبة الصادقة فى الموت هى أقصر طريق إلى الحياة ، وأن الشعب إذا استمات لا تغلبه قوة فى الدنيا . وهل يمكن أن يباد شعب على بكرة أبيه فلا يبقى له أثر ؟ هل تستطيع قوى الشر كلها التى حشدها المتمدنون ليقتلوا بها البشر باسم المدنية التى نسبح جهلا بحمدها ، ونموت فى عشقها ، أن تهلك أربعمئة مليون ضفدع لو هاجت بلداً من أقطاره الأربعة ؟ فكيف لو هبت أربعمئة مليون إنسان ، يستجيبون لصوت إيمانهم ، ويغضبون لماضيهم ، ويعملون لمستقبلهم ؟ إن القطة إن غضبت لأولادها ، كشرت عن أنيابها ، وأبدت عن مخالبها ، وهجمت على الذئب ، فكيف إن غضب شعب كشعب إيران ؟ وكيف إن كان يقوده شيخ له عزة العلم ، وله قوة اليقين ، كالقاشانى ، ينفخ فيه من روح الدين ما يثبت للعالم أن قوة الإيمان هى أقوى القوى ، وأن العدو لم يصنع بنا شيئا أضر علينا من صرفنا عن ديننا ، وتعطيل هذا السلاح الماضى الذى وضعه الله فى أيدينا !

ثم جاءت أخبار مصر . مصر الدينة الصينة التى طالما احتملت الفسوق والعصيان .. وسكتت ترجو أن ينيب الفاسق ، ويتوب العاصى .. مصر العزيزة الحرة التى صبرت على الطغيان والاستبداد .. مصر التى بذلت فى حرب فلسطين مالم تبذله دولة عربية ، ثم ضربها فى ظهرها من كبار أبنائها من كان شرا عليها وعلى جيشها من أعداء الله والإنسانية : اليهود . مصر التى طالما زرتها وأقمت فيها الشهور الطوال فكنت أشم روائح الفساد كلما خرجت من إدارة الرسالة ومررت بالميدان الكبير . وانتشرت هذه الروائح حتى عمت مصر ، ثم وصلت إلى أوربا . وشمها أصحاب الجرائد هناك بأنوفهم الحساسة فنشروها فى كل مكان حتى بلغت الشام ودخلت كل بيت ؛ لذلك كانت أخبار الانقلاب الأولى فرحة فى كل بيت .. يتباشر بها الناس . ويفتحون الراد ليسمعوها ، وأزهد الناس بسماع الأخبار صار يعانق الراد فى داره ليسمع إذاعة مصر وغير مصر .. فلما أذيع أن الفاروق (الذى كان يوما الملك الصالح) قد أخرج من مصر لم يعد يستطيع الناس أن يضبطوا من الفرح أعصابهم . ووالله ثم الله الذى لا يحلف به كذباً إلا فاجر ، لو أعطيت مائة ليرة ما فرحت بها مثل فرحى بهذا الخبر . ولولا أنى مريض.. وأن ذهنى مكدود.. لحييت هذا اليوم العظيم التحية التى تليق به . . ولسقت له كلاما غير هذا الكلام : كلاما تثب له القلوب ، وتحمى منه أقحاف الرؤوس ، وترقص له من الحماسة الأعصاب ، وتغلى الدماء ؛ ولكنى إن عجزت اليوم عن نظم هذا الكلام .. فلقد قال هذا البطل بفعاله أكثر منه ؛ وهو صامت متواضع لم يفخر ولم يتحمس . فيا أيها الرجل العظيم حقا ؛ لك شكر العروبة . لك شكر الوطن . لك

الحاجة إلى الجذور

للدكتور عمر حليق

— ٢ —

لتراث الماضي في عنق الجيل المعاصر مسؤولية قدسية . فإذا انهدم الماضي فإن عودته ضرب من المحال . وإن أعظم الجرائم قسوة أن يهدم الناس ما ورثوه عن أسلافهم من تراث . فما علينا إلا أن نجعل همنا الأكبر الاحتفاظ بالقليل الذي تبقى لنا من تراث الماضي

ليس في هذه الصرخة من البلاغة والحكمة إلا ما يزكيها من تحليل دقيق وفكر عميق يطفح به هذا الكتاب النفيس(1) الذي قدمنا له في المقال السابق

ولعل بين القراء طائفة تقرأ في ثنايا هذه الصرخة « رجعية » لا ترضى عنها رغبتهم في بناء المجتمع الجديد على أنقاض الماضي وجموده

ولكن الحاجة إلى الجذور ليست نزعة عاطفية مبعثها الرجعية والجمود وما يمت إليها من ألوان المحافظة والتزمت . إنما هي غريزة روحية تكمن في نفوسنا جميعا . فحين تستذكر ما يعترى الجيل من بلبلة فكرية وانفعالات نفسية حادة لا يسعك إلا أن توافق المؤلفة على أن رجل العصر إنسان اقتلعت جذوره لأنه قطع الصلة بالذخيرة الروحية التي هي جزء من تراث الماضي ومن أصوله الخالدة

ففي الثورة على الماضي دعوة إلى القطيعة الروحية بين الخالق والمخلوق ، بين الجذور والأغصان . وهذه القطيعة من أبرز العناصر التي تزيد من بلبلة الفكر وتشتت الجهد وكآبة النفس التي تشيع بين الواعين من أفراد هذا الجيل

فرجل العصر حين يقتصر في تسلحه لمواجهة مسؤولياته ومشاكله الخاصة والعامة على المعاول الحديثة المستنبطة من فنون السياسة والاقتصاد والإصلاح الاجتماعي خالية من الذخيرة

(1) L'enracinement Par Simone weil

شكر الإسلام

يا محمد نجيب . لقد نقش اسمك على محاريب القلوب مع أسماء أبطال التاريخ

***

وبعد فهذه عاقبة الفسق والفجور ، واستغلال أموال الأمة وسلطانها في إرضاء الشيطان وإرواء الشهوات ؛ فاعتبروا يامن لم تصل إليهم النوبة بعد فإنها ستنوبكم . إن الله يمهل ولا يهمل . وينسى ولا ينسى . وليعتبر الذين أنبت الله لهم من التراب ذهباً ، وأنبع لهم من الرمال دولارات ؛ فتركوا قومهم جياعا حفاة وأنفقوها على الفسوق والشهوات حتى ضجت من عجبها من فجورهم باريس مدينة الفجور

اعتبروا فإن نعم الله لا تحفظ بالمعصية ولكن بالشكر . . وإن الأوطان لا تحمى باتباع الشهوات ، وإضاعة الأموال في البذخ والترف ؛ ولكن بتقوية الجيش وإعداد السلاح ؛ وإطاعة الله ، والعمل على إعلاء كلمة الله . وإن الملك لا يكون ليستمتع الملك ويلهو ، ويبدو هو وحاشيته على المرض وعلى الأرض . ويرفع نفسه عن النقد ؛ بل ليكون أطول الناس سهرا على مصالحهم ؛ وأكثرهم شغلابهم، وأعظمهم تبعة ؛ وأشدهم من الله خوفا . كذلك كان الرسول صلوات الله عليه ؛ وكان أبو بكر وعمر ؛ وكان الصالحون من الملوك . وبعد فإن في كل بلد (محمد نجيب) لا تعرفونه اليوم ؛ ولكنها ستعرفه الدنيا كلها في لحظة كما عرفنا محمد نجيب ؛ وما كنا قبل دقائق قد سمعنا في الشام باسمه . وأن في كل بلد (يخت) كالمحروسة ، أو سيارة تقوم مقامها و (دار ابن لقمان على حالها) …

***

وبعد فبارك الله في شعب مصر . وبارك الله في شعب إيران، وبارك الله في كل شعب يأبى الدنية ويرفض العار ، ويعرف كيف يرفع رأسه ويقول : لا !

والسلام على روح حسن البنا موقظ الأرواح النائمة في مصر ؛ وعلى القاشاني ؛ وعلى مصدق ؛ وعلى البطل النجيب : محمد نجيب

دمشق (ع)

الروحية التى تكمن فى تراث الماضى — وحين يتخذ من هــذه المعاول وحدها أسلحة يواجه بها تيار الحوادث وتيارات الفكر وانفعال الشاعر والإحساسات — لا مفر له من أن يكفر بالمجتمع والناس حين يمر بنكسة قاسية أو خذلان كبير . فهذه المعاول مجردة من الذخيرة الروحية لا تستطيع أن تبعث فى رجل العصر الإيحاء والطمأنينة الصادقة حين تحقق (هذه العوامل) فى تلبية حاجته عندما تدهمه بعض حقائق الحياة القاسية مما لا تقوى على ترويضها فنون الاقتصاد والسياسة والخدمات الاجتماعية . فهذه المعاول مجردة من العنصر الدينى والروحى العميق ليست سوى آلات ميكانيكية لا تتأثر لانفعال المرء ولا تستطيع أن تعبر عن حمايتها له وعطفها عليه حين يعتريه فى صراعه مع الحياة وقيامه بواجبات الجيل ومسؤولياته الفتور والفتنة والكآبة . فهذا النوع من الإيحاء والطمأنينه والعطف والحماية مقصور على الصلة الروحية التى تربط المرء فى جميع الأجيال بهذه العناية الإلهية الرحيمة الرءوفة السمحة التى تميد إلى النفس الثقة وتبعث فى قرارتها القوة والعزم فتدفع عنها بالإيمان والاختبار الروحى الصادق شر الفتنة ومساوئ الفتور وبلية الكآبة وأمراض القلق وعلل الشك

ومن ثم يجد الذين اقتصروا فى تسلحهم لمواجهة مسؤوليات الجيل ومشاكله على فنون الاقتصاد والسياسة والاجتماع واستمدوا من فلسفتها ذخيرتهم الروحية — يجدون أنفسهم فى حيرة شديدة .. فإذا تبين لهم أن الشيوعية لا يمكن أن تطبق إلا فى ظل النظام المطلق فتصبح قاسية فى حكمها على الطبيعة البشرية اتجهوا إلى الاشتراكية أو الديمقراطية كما تفسر فى أوروبا والعالم الجديد لعلهم يجدونها أكثر سماحة فى توجيه السلوك الإنسانى فى أقرب السالك لتحقيق مايتطلع إليه أهل الجيل من عدالة ومساواة

ولكن طبيعة السلوك الإنسانى وتيار الحوادث أكثر تعقدا وأشد قساوة من أن تلين لهذه النظريات . وما أكثر ما يقف الذين اختاروا هذه المعاول « المادية » واجين قلقين حين يعترى مسلكهم فى التفكير والعمل نكسات تدفعهم فى ساعات التجرد والتأمل أن يكفروا بهذه المعاول أو أن ينفروا من إحداها ليلتجئوا إلى أخرى ؛ وهكذا دواليك .

ويجب أن لا يساء الفهم فى هذا التحليل . فليس القصد أبدا إنكار النفع فى هذه المعاول — هذه المبادئ والنظريات اشتراكية أم ديمقراطية أو غير ذلك من الأنظمة المعاصرة فهى أيضا جزء من تراث الماضى وأسلحة لا بد للجيل من أن يلجأ إليها ليواجه مسؤولياته ويحقق مطالبه . إنما القصد بيان الدور المهم الذى يمارسه التراث الروحى (وهو الجزء الأهم من تراث الماضى) فى سلوك الناس ومبلغ الإيحاء والقوة الدافعة التى توفرها الذخيرة الروحية للذين يتسلحون بفنون العلم والنظم الحديثة ومعاولها لبناء المجتمع الجديد

وإنك لا تستطيع إلا أن تعجب لهذه البلاغة التى عبرت بها مؤلفتنا الشابة عن هذه الصلة بين فنون العلم ونظمه الحديثة وبين القوة الروحية الكامنة فى تراث الماضى فهى تقول بأنها لا ترغب فى شئ أشد من رغبتها فى أن تتعمق فى عشق المجتمع وكل ما فى الكون من جمال وقبح . فهى لا ترغب فى أن يعيش الجيل فى برج عاجى تحيط به سحب الروح وينغمر فى تراث الماضى، فهى تشارك الناس صراعهم فى الحياة اليومية (وفترة اشتراكها فى حركة المقاومة السرية الفرنسية للاحتلال النازى شاهد على ذلك) ولكنها شديدة الرغبة كذلك فى أن ترتفع بنفسها وبأهل الجيل عن هذه « العزلة النفسية » القاسية التى يمرون بها كلما عجزت فلسفة العلم ومعاول النظم الحديثة عن أن تحل مشاكلهم وتمهد لهم طمأنينة النفس واستقرار الروح

وهذا الارتفاع لا يكون إلا بتوطيد الصلة بين الجيل الجديد وبين العناية الإلهية والذخيرة الروحية العميقة التى خلدها تراث الماضى

فهى تستهل مؤلفها فى فصل عن « الحاجة إلى الروح » وهو مثال طيب للمنطق الفرنسى حين يتعمد أن يضع قاعدة فكرية يؤمن بها ويدعو الناس كذلك إلى الإيمان بها

فالحاجة إلى الروح تستند إلى افتراضين :

أولها : أن الله موجود وكل شئ فى الكون والسلوك الإنسانى يثبت وجوده ، فلا العلم ولا النظم الفكرية قادرة على أن تنفى هذا الوجود وحاجة الناس إلى إدراكه واستيحاء رشده العلى وهداه . وأن الله تعالى بصفته جوهر الكون هو الجذر

الأوحد لتراث الماضي والعنصر الرئيسي في ذخيرته الروحية

وثانيهما : أن فشل العلم الحديث ومعاول النظم الاقتصادية والسياسية في الاعتراف بحاجتها إلى هدى الله قد أوجد هذه المساوئ وهذا التفكك والتشويش والقلق الذي يهيمن على أفكار أهل الجيل وسلوكهم

وقد بلغ من حماس هذه المؤلفة الفرنسية لتعزيز الحياة الروحية في هذا العالم القلق أن دعت في كتابها إلى سن أقسى التشريعات ضد الذين يتعمدون تشويش الحياة الروحية من المجتمع من الطامعين في السيادة السياسية والسيطرة الاقتصادية ، وفي الكتاب والفنانين الطامحين إلى المجد الفني مع شل الدين والقيم الروحية « الذين يبثون في عقول الناس وأفئدتهم من الصور الفنية المشوهة ما ينحط إلى مستوى البدائية فيعكر على القيم الأخلاقية صلاحها ويدفع القيم الروحية إلى الانحطاط

والمؤلفة في دعوتها هذه تضرب يميناً وشمالا . فتهاجم (أندريه جيد) الكاتب الفرنسي الشهير لهجومه على بعض القيم الأخلاقية ، وتنتقد (جاك ما ريتان) الفيلسوف الكاثوليكي العتيد لتزمته في تفسير صلة القيم الروحية بمسؤوليات الجيل ومشاكله

وهي لا توقر رجال الصحافة في حملتها هذه ، فتقترح لهم العقوبة الصارمة إذا ثبت عليهم جرم تزوير الأنباء وتحريف الوقائع والاتجاهات لحاجة في نفس يعقوب

و(سيمون وايل) في ثورتها على « الجرائم التي تعيث فساداً في الذخيرة الروحية » مدفوعة برغبة ملحة في أن تثير في أفراد المجتمع الحماس فيمن يأنس في نفسه القدرة على أن يعين أهل هذا الجيل على مواجهة مسؤولياته بقلب آمن وفكر سليم وفتح خزائن التراث الروحي والإلهام الديني لهم ودفع شر الذين يغلقون الأبواب فيزيدون دنيا هذا الجيل حلكة وظلاما

ففي كتاب آخر لها عنوانه « في انتظار الله » تقول كاتبتنا إن الذين تحيق بهم الكآبة والتعاسة ليس لهم في هذا الكون من حاجة أشد من أن يجدوا في الناس من يوليهم لفتة مخلصة وعناية صادقة . فلا يكتفي أن تصمت إذا ألمت بجارك مصيبة وتتركه لشأنه . إن حسن الجوار يتطلب أكثر من الصمت وترك الجار وشأنه . إنه يفرض عليك أن تنشط للاتصال بجارك في المجتمع لتضع بين يديه ما في طبيعتك البشرية من أنس وبشر . وفي مكان آخر من هذا الكتاب تؤكد بأن « سكوتك عن ضلال الآخرين وصمتك إزاء محنتهم وكآبتهم ومشاكلهم هو في الواقع ضرب من الحقد عليهم والسخرية بهم، فالصمت والحالة هذه لون من الشلل النفسي وعنوان على تفاهة العيش وحيوانية السلوك »

***

وبعد فهذا استعراض متواضع لكتاب نفيس . والكتب القيمة على نوعين : كتاب يعالج في كل فصل فكرة أو فكرتين، وآخر في كل فقرة من فقراته حكمة ورأي سديد . وكتاب « الحاجة إلى الجذور » من النوع الأخير . فهذا الاستعراض الموجز لا ينصفه ولا يوفيه حقه

ولكنها على كل حال محاولة أحببت أن أعرضها للقارئ دلالة على أن حاجة جيلنا إلى الجذور حد وواجب ، وليس سرف عقلية أو وجهة فكرية ينفر منها بعض المثقفين الذين يعتقدون مخطئين بأن البضاعة الفكرية المستوردة من حاضر الثقافة الغربية هي في كليتها نتاج « علماني » صلته بالحياة والذخيرة الروحية مبتورة لا وصل لها

فأمثال (سيمون وايل) من الداعين إلى صيانة تراث الماضي وعناصره الروحية كثيرون في حاضر الفكر الغربي

وجيلنا في العالم العربي سعيد الحظ بأن يجد نفسه في بيئة لا يزال فيها للقيم الروحية معاقل وحماة . فما عليه إلا أن يعير تراث الماضي قسطاً وافياً من اجتهاده ، ويعزز بالذخيرة الروحية ما اختاره من معاول العلم وفنون النظم الفكرية الجديدة ليتسلح بها جميعاً لمواجهة هذه المسؤوليات الجسام التي تتحداه

نيويورك **عمر حليق**

من الاسكندرية إلى ديروط

للأستاذ أنور الجندى

جمت فى خلال إجازتى بين سفرين ؛ كلاهما أبعدنى عن القاهرة . فسافرت إلى الإسكندرية ثم عدت إلى ديروط ؛ فكأنما ذهبت إلى أقصى الشمال حتى شارفت البحر الأبيض.. ثم قصدت إلى الصعيد الأوسط حيث قضيت أياما فى البلد التى ولد على ضفافها حافظ إبراهيم شاعر النيل

وفى كلتا الرحلتين متاع كبير ، ومتاعب كثيرة ...

أما فى الإسكندرية فقد التقيت بصفوة الناس ، وتغلغلت فى الطبقات الميسورة التى لان لها العيش وأتيح لها أن تأخذ بأوفى حظ من المتاع .. فهجرت القاهرة والأقاليم ، وأقلعت إلى الساحل تأخذ أكبر قسط من الهواء والماء . . ومن متاع النفس والجسد

رأيت المجتمع المصرى فى صورة الحرية المطلقة . وقد تجرد الرجال والنساء على وجه أحله البحر وحرمه الدين ؛ وأعطى كل من الجنسين لنفسه الحق فى أن يذهب حيث شاء . إن شاء أمضى يومه أمام الكابين . أو تحت المظلة . أو سابحا فى الماء ...

ورأيت صورة الهدى وهى تختلط فى صورة الضلال ... فلا تكاد تفصح إحداها عن نفسها أو تتبدى واضحة جلية ، وأشفقت من المصير الذى ينتظر هذه الجماعات وقد منحت أنفسها ما تهوى وما تحب دون أن تجعل للعرف أو للتقاليد أو للدين حسابا معلوما أو حقا مفروضا ...

ومن العجب أن تقوم مسارح الفتنة والجمال على شاطئ البحرين مقامين كبيرين لرجلين من أعظم رجال التاريخ والتصوف هما: ابن جبير الأندلسى الرحالة الذى طاف الشرق وقدم من المغرب ومات فى الإسكندرية

وبشر الحافى الصوفى العراقى الذى أثر عنه الزهد والعلم والورع ولكل منهما مسجده الضخم القائم فى قلب المنطقة الآهلة بالمصيفين ورواد الكابينات ؛ والذاهبين إلى البلاج والعائدين منه

وبينما تذهب آثار الرجلين فى بطون التاريخ فلا يذكرها ذاكر إلا القليل من الباحثين والعلماء ، يبسط الله فى اسميهما ؛ فيكتب فى تذاكر الأتوبيس والسيارات ، وينادى به الحالون والسائقون ، ويجرى على ألسنة المسافرين والعائدين ...

* * *

ثم سافرت إلى ديروط ، تلك المدينة التى كانت حديث الصحف فى الشهور الماضية ، فلقيت قوما يختلفون كل الاختلاف عمن لقيت فى الإسكندرية

لقيت قوما يكدحون فى سبيل العيش والرزق ، يعملون سحابة يومهم .. فإذا أمسى المساء التقوا على « القناطر » التى هى أبدع عمل هندسى فى الصعيد بعد خزان أسوان وقناطر أسيوط

رأيت أهل الصعيد فى نقائهم وطهرهم وبساطتهم ، يمضون فى الحياة لا يتكلفون ، قد أخذوا من الحضارة بطرف ، ولكنهم ما زالوا يضنون عليها بالعرض والشرف والخلق والتقاليد

رأيت «المئذنة» العالية وسمعت صوت النداء باسم الله ينبعث من فوقها فيهز النفس من الأعماق ، ويرسل إلى الكون كله فيضا من الحب والسلام ... هذه مئذنة الجامع الكبير ، من أعلى مآذن القطر كله ؛ قد بنيت بالقرميد الأبيض والأحمر على هيئة غاية فى الرواء والإبداع ، وكان مقامى فى بيت قريب منها على الضفة الثانية للترعة الساحلية ، فما كنت ألقى نظرى من النافذة مرة ، جالسا أو قائما ، إلا كانت تتراءى لى فتهزنى ، وتملأ نفسى بذلك الإحساس الروحى النامر . . فإذا واجه غرفتنا المؤذن فى صلاة الفجر ، انبعث صوته رطبا نديا .. كأنما يسكب على هذا الصمت والسكون الضياء والنور ، فما ألبث أن أهتز فى مضجعى أردد اسم الله ...

ألا ما أبعد الفارق بين ما تثيره ديروط وماتثيره الإسكندرية فى النفس ؛ إن هذه تمطينى معنى الروح كاملا حيا ، أما تلك فلا تترك فى نفسى إلا متاعب الصراع بين الهوى والحق ، وبين القلب والفريزة ...

وفى ديروط كنت أطلق الطرف بعيدا فى تلك المروج الخضراء أتزود وأقتات من جمال الريف ، وهناك فى أطراف المدينة حيث تلتقى الحضارة بالريف ، والصناعة بالزراعة ... كنت أجلس

الساعات الطوال أنظر وأسبح بعيدا حتى يردنى عن أفكارى قطار « الديزل » السريع وهو ينهب الأرض فى طريقه إلى القاهرة …

وفى المساء كنت أسير مع صديق « محمد زكى » نتحدث عن الرافعى … إن صديقى لا يمل الحديث عنه ، إنه يحبه غاية الحب ، ويرى يومه عبثا من العبث لو انه انقضى دون أن يقرأ له فصلا أو صفحة أو كلة أو « كليمة »

إن صديقى من أدباء الريف المغمورين ، الذين قضت عليهم ظروف الحياة أن يعيشوا هناك ، حيث لا تصفو الحياة كثيرا للأديب الذى يريد أن يصنع المجد …

وفى ساعات الغروب على الإبراهيمية أو على اليوسفى ، تلبس ديروط حلة قشيبة من الجمال..الحزين . حيث نعود بالذاكرة إلى ما قبل عشرين عاما من العمر ، عندما كنا نخطو إلى هذه المدرسة القائمة تجاه مبنى الرى … نتلق أول دروس العلم ، ودروس الحياة

* * *

أما ذلك المساء ، فقد كان حزينا حقا ، بالغا غايته فى الظلمة والحزن . فقد انطلقت إلى حيث كان للقلب قصة منذ سن السابعة عشرة ، ولما مرت العربة بنا على ذلك المكان الذى يعيش فيه ذلك الروح الحزين . هتف القلب : ترفق أيها السائق ؛ فإن لنا هنا ذكرى عزيزة

كان الوجه الأول الذى لقينى بين ظلمات الأحداث ، ومتاعب الشباب الباكر ، فأحال دنياى جنة وارفة الظلال ، وأمد روحى بذلك الرحيق القدسى الذى يحسه الشباب الحدث ، الذى يتطلع إلى المجد ، حين يلتقى مصادفة بإنسان وهبه الله فيض الجمال وفرط الحسن.. وأمده بذلك الروح الشاعر الصادق ، بحيث لا يخرجه عن تقاليده وخلقه ، ولا يصرفه عن طهره ونقائه …

ولكن الظروف تقصر ، والأقدار تأبى ، فإذا به يمضى فى طريقه وأمضى فى طريق . وأظل على الرغم من مرور بضعة عشر عاما أحس كأنما كان الأمر بالأمس ، ما زال قائما فى النفس لا يبرح ، وما تزال صورته فى الضمير لا تزول . إذا هتف الهاتف باسمه ظننت أنه هو ، وإذا خطر من يشبهه ذكرته ، وعدت بالخيال مرة أخرى إلى أيامه الحلوة ، عليها سلام الذكريات

وبالرغم من الزمن البعيد ، فهو ماثل فى القلب ، يذكرنى بالماضى البعيد ، وكأنى به أنتظره وأترقبه ؛ وأرجو على مر الزمن أن يتاح لى مرة أخرى أن ألقاه …

كان ذلك المساء قاسيا على نفسى ، فقد كنا فى السيارة نتذاكر قصيدة الأستاذ محمود محمد شاكر « اذكرى قلبى فقد ينضرمن ذكراك عودى» .. وبينا كان صاحبنا يرددها ، كنا نمر فى نفس المكان الذى يتنسم فيه شاعرنا أنفاس الحياة

والحق أن «ديروط» أعادت إلى نفسى الذكريات التى طوتها أعباء الحياة فى القاهرة ؛ فما أظن أننى قضيت فى ديروط عشرة أيام منذ سبعة عشر عاما غير هذه المرة …

لقيت وجوها كثيرة لم أرها منذ طويل ، وجوه كلها إلى حبيب ، ولى معها ذكريات ؛ ولكن غاب عنى وجه لطالما أحببت أن ألقاه ، ولكنه طريح فى المستشفى ، عجل الله له الشفاء وكتب له الصحة والعافية …

أنور الجندى

حـــــلوان المنوفية

قويسنا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مدينة حديثة.. يرجع تاريخ إنشائها إلى أوائل هـذا القرن ، بلدة جميلة تمتاز بطيب هوائها واعتدال مناخها وجفافه . تلك هى حلوان المنوفية أو مدينة قويسنا

تقع هذه المدينة عند خط عرض ٣٠ ر ٣٠ شمالا وعلى خـط طول ١٠ ر ٣١ شرقا وهى وبلاد مركزهـا تحتل الجزء الشمالى الشرقى من مديرية المنوفية

وقد بنيت هذه المدينة فى عهد المرحوم عبد الرحيم باشا صبرى حين كان مديرا للمنوفية ولذلك يسمى الجزء الحديث منها منشأة صبرى ، وقد اختير لبنائها بقعة رملية هى جزء من جبل قويسنا ، ووجودها فى هـذه المنطقة الرملية هو الذى جعلهـا تشبـه حلوان مناخا

ظهور السلحفاة

يشاهد المسافر من القاهرة إلى الإسكندرية بعد عبوره لجسر بنها وعلى مسيرة خمسة أميال من بنها عدة بقع رملية تنتشر حول مدينة قويسنا شمالا وجنوبا وشرقا ، تلك البقع أطلق عليها هيوم اسم ظهور السلحفاة، وهى بقع فريدة فى بابها وغريبة فى وجودها ؛ إذ أنها هى البقع الرملية الوحيدة الموجودة فى الدلتا باستثناء منطقة فاقوس

ويطلق عليها الأهالى اسم جبل ، وهذا ليس من الحقيقة فى شئ ؛ ولـكن ندرة رؤيتهم للجبال وللبحار هى التى جعلتهم يتحدثون عن بحر النيل وبحر شبين وجبل بوغوص وجبل قويسنا وغيرها . ذلك أن هذه الجبال لا تزيد ارتفاعها فى أعلى جهاتها عن سطح الأرض المجاورة بعشرة أمتار ، وهى بهذا ليست جبالا بل ولا تلالا .

وقد حاول الجغرافيون تعليل وجود هذه البقع الرملية فى تلك المنطقة واختلفت آراؤهم :

ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه « الجبال » كانت جزائر رملية فى وسط الخليج الذى تتكون منه الدلتا ، فلما ردم النهر بطميه ورواسبه هذا الخليج وكون الدلتا بقيت هـذه المرتفعات بعيدة عن أن تغطيها رواسب النهر وظلت قائمة بشكلها الحالى، ويؤيد هـذا الرأى عدم وجود أية قواقع بحرية فى تلك المنطقة . وأنا أعتقد أن هذا هو أسلم الآراء

وهناك رأى آخر يذهب إلى أن هذه البقع الرملية هى من عمل النهر ، وأن النهر قد قذف بهذه الرمال فى أثناء موجة شبابه الأول وتركها فى مكانها الحالى

هذه هى أهم الآراء ، ولعل من الخير أن أحاول وصف هذه البقع . وهى تتكون من أربعة أجزاء أو (جبال) :

١ : جبل قويسنا

وتوجـد مدينة قويسنا فى شماله ويمتد جنوبا إلى بلدة كفر الشيخ إبراهيم وتبلغ مساحته ٤٩٥ فدانا . وتمتاز رماله بحسن صلاحيتهـا للاستخدام فى البناء ، ومن هنـا أخذت يد الإنسان تعتدى على تلك المنطقة مما يهدد زوالها

وفوق ربوة عالية اختارت وزارة الدفاع مكانا أعدته ليكون معسكرا للقوات المرابطة التى يجند رجالهـا من أبنـاء مديريات المنوفية والغربية والقليوبية . ويمتاز هذ المعسكر بحسن موقعه وجودة هوائه واعتدال مناخه لولا قسوة الحر فى أيام الصيف نهارا

٢ : جبل بوغوص

وهو أكبرها جميعا وأكثرها ارتفاعا ويقع شرق السكة الحديدية ويمتـد من منشـأة دملو إلى شرانيس إلى كفور الرمل وتبلغ مساحته ١٨٠٠ فدان

وقد جاءته هذه التسمية نسبة إلى بوغوص بك وزير التجارة فى عهد محمد على الكبير ، فقد أخذ بوغوص بك يعمل على استصلاح هـذا الجبل وإعداده للزراعة ، ولـكن ارتفاعه وتعذر وصول مياه النيل إليه وكثرة تكاليف الرى الصناعى قد أدت إلى فشل التجربة

وقد بنيت فوق ربوة عالية دار كبيرة ما تزال قائمة وتعرف بسراى موريس

وقد اشترى هذا الجبل حديثا ملاك وطنيون أخذوا يعملون على استغلاله وأخذوا فى بيع رماله ونقلها حتى ينخفض سطحها إلى مستوى الأرض الزراعية فتزرع

٣ : جبل أبو طاقية

ويقع فى شمال شرق قويسنا بجوار قرية كفر ابنهس ومساحته ٢٦٧ فدانا

وقد اشترى جزءا من هذا الجبل رجل فلسطينى وزرعه فوا كه فنمت أشجار البرتقال واليوسفى والليمون الحلو والأضاليا . وقد انتقى المالك بذورا ممتازة فجاءت بخير الثمار، وتنتج تلك المزرعة أنواعا ممتازة جدا من البرتقال واليوسفى والمانجو والليمون

وقد واجهت المالك مشكلة الرى ولكنه تغلب عليها :

أولا : حفر ترعة لتصل مياه النيل إلى الجبل

ثانيا : أقام آلة لرفع المياه إلى أعلى مستوى فى الجبل حتى يمكن رى جميع جهاته فى سهولة

ثالثا : حفر لكل شجرة حفرة كبيرة ملأها بالطمى والردم والسماد فأتاح بذلك لجذور الشجر أن تجد الغذاء الكافى

رابعا : أنشأ مساقى صغيرة أو قنوات من الطوب الأحمر والأسمنت أومن المواسير والغاية من ذلك ألا تضيع المياه فى الرمال

وهكذا تغلب على صعوبة الرى ونمت الأشجارباسقة وجادت بخير الثمر ونجحت التجربة

وإلى الذين يدرسون مشروعات زراعة الصحراء أقدم تلك المزرعة كنموذج لزراعة الصحراء فعليهم زيارتها والانتفاع بتلك التجربة

٤ : جبل سيدى هلال

ويقع قرب بلدة الرمالى وتعرف تلك المنطقة بعشاة رزق الله وتبلغ مساحتها ٣٠ فدانا . وقد زال معظمها إذ استهلك الفلاحون الرمال فى زراعة القطن

هذه هى المناطق الرملية بقويسنا ، ومن العجيب أنها تخلو تماما من الآثار فليست بها آثار للمصريين القدماء ومن جاء بعدهم

تل أم حراب :

ويقع بجوار قرية مصطاى من ناحية الجنوب وتبلغ مساحته ١٠٥ فدادين . وكان يتكون من تراب كفرى ويشبه تل أتريب بنها وتل بسطة بالزقازيق ، وهو يكون المنطقة الأثرية الوحيدة فى تلك المنطقة ، وقد زالت هذه المنطقة إذ استهلك الفلاحون ترابها الكفرى ثم وضعوا يدهم على الأرض وزرعوها . وما تزال هناك أحجار أثرية بجوار مقام الست فاطمة أم حرب

وبهذه المنطقة جبانة لليهود ماتزال آثارها موجودة مع أن العناصر اليهودية قد انقرضت منها ، وهذا يدل على أن تلك المنطقة كانت من أقدم المناطق التى سكنت الدلتا

منشاة صبرى

بلدة جميلة تمتاز بروعة مبانيها وبساطتها وحسن تنسيق شوارعها وتخطيطها، وليس ذلك عجيبا فهى حديثة الإنشاء، ومن ثم خططت تخطيطا هندسيا فجعلت شوارعها واسعة مستقيمة لا عوج فيها ولا التواء مما نشاهده فى كثير من المدن القديمة التى تمتلىء بالأزقة الضيقة والحوارى الملتوية

ومنازلها جميلة لكل بيت فيها حديقة ، وسر ذلك هو اتساع الأراضى وعدم صلاحيتها (فيما مضى) للزراعة

ومناخ البلدة جميل حقا ؛ فشتاؤها دفء جاف وصيفها لطيف وليله جميل ساحر وهواؤه عليل طيب . وأمطارها قليلة وهى تسقط شتاء كما يحدث فى سائر المناطق الجنوبية من الدلتا

وقد حبب سكنى هذه المدينة إلى الناس جمال مناخها فنمت وترعرعت . ويتمنى كثير من الموظفين أن تنقل عاصمة المنوفية من شبين الكوم إلى قويسنا ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب :

١ : إن شبين الكوم مدينة عتيقة يتغير الزمن ولا تتغير، ويتقدم الدهر ولا تتقدم . وهناك قصة مصرية طريفة ملخصها أن مصريا قديما بعث وأخذ معه دليلا ليطوف بالوجه البحرى وليشاهد ما طرأ عليه من تغيرات . وطاف المصرى القديم ودليله ببلاد الوجه البحرى حتى إذا وصلا إلى شبين الكوم وهم الدليل

ما غرض التربية فى مدارسنا ؟

للأستاذ إيليا حليم حنا

لكل أمة طابع وغرض من التربية . فما هو طابعنا الحالى ؟ وما الغرض العام المرسوم للتربية عندنا ؟ الحقيقة لا طابع ولا غرض لنا إلا إعـداد أطفالنا وشبابنـا للامتحانات لينجحوا ويحصلوا على الشهادة التى تمـكنهم من النزول فى معترك الحياة ليرتزقوا ويعيشوا . هذه هى غاية التربية فى مدارسنا ، وقد قضى هذا الهدف على كثير من شبابنا المتعلم أن يموت فـكريا لأنه لا يتابع سير تفـكيره بعد أن يتخرج فى معهده أو مدرسته . ونجد أن أصحاب المهن الفنية من شبابنا المثقف يعيشون بمـا يتعلمونه لا يسـايرون الزمن فى فنهم ، ولا ينتجون شيئا جديدا فى ميدان الخلق والابتكار . إننا لا نتهم ذكاءنا ولـكن نتهم طرقنا التربوية التى تجعل من رؤوس المتعلمين دفاتر محشوة بالمعلومات وكتبا قياضة بالدراسات ، وأغفلت الأهداف الحقيقية التى تخلق فى الشاب قوة التفـكير وتبرز فيه أهم نواحى الإبداع والابتكار . إننا فى حاجة إلى نوع العلم الذى يتيح للمواهب الفردية أن تنمو تبعا لطبيعتها ، ويكفل لـكل طفل الأحوال التى تتمكن فيها قوديته من النمو إلى أكمل حد مستطاع وتزوده مع ذلك بالثقافة التى تجعله منسجما مع المجتمع . يجب أن نقلب سياسة التربية الحالية رأسا على عقب ، ونوقف نظام صب القوالب وحشو الرءوس . إننا الآن لا نراعى الفروق الفردية والميول المختلفة ؛ بل نصب أطفال الفرقة كلها فى قالب واحد

لقد بدت فى الأيام الأخيرة ظاهرة يجب أن يهتم بهـا رجال التربية أشد الاهتمام ، وهى تفشى داء الغش بين الطلبة والطالبات فى جميع مراحل التعليم والسبب الأول لهذا الداء الخلق الوبيل هو أن ما يتعلمـه الفرد عندنا لا يناسب الميول والقوى الـكامنة ، وأن الهدف الذى يهدف إليه المتعلم هو الشهادة وليس العلم لذاته ، وفى هذا أكبر دلالة على أن مناهجنا الحالية فاشلة فى توجيه أبنائنا نحو حياة اجتماعية خلقية شاملة وشخصية متكاملة

وهنـاك ظاهرة أخرى هى كراهية الشباب لمعاهد التعليم ،

بتعريفها أجابه المصرى القديم : إنى أعرفها .. إنها شبين الـكوم

٢ : سهولة اتصال قويسنا بعاصمتى مصر القاهرة والإسكندرية ، فبينها وبين القاهرة ساعة وبينها وبين الإسكندرية ساعتان تقريبا . أما شبين الـكوم فهى مدينة قريبة بعيدة ، قريبة لأن المســافة بينها وبين القاهرة قصيرة ، ولـكنها بعيدة لأن القطار يقطع هذه المسافة القصيرة فى ثلاث ساعات وهى مدة تكفى لانتقال الإنسان من القاهرة إلى جدة أو أثينا بالطائرة طبعا

٣ : جودة مناخ قويسنا واتساع مســاحة الأراضى اللازمة للبناء ؛ وقد عطف المغفور له جلالة الملك فؤاد على قويسنا ؛ فأمر أن يقف بها القطار الملـكى أثناء انتقال جـلالته من القاهرة إلى الإسكندرية ، ومنذ ذلك التاريخ والقطار الملـكى يقف فى قويسنا ليتشرف مدير المنوفية وأهلهـا بتقديم التحية إلى الجـالس على العرش

وتحقيقا لرغبة كريمة أنشأ المرحوم محمد افندى نصر مسجدا عظيما بجوار محطة السكة الحديدية

ويبلغ عدد سكان مدينة قويسنا عشرين ألفا ، وتحيط بهـا منطقة زراعية من أجود أراضى المنوفية

وقد قامت قويسنا دائمـا بنصيبها الـكامل فى الحركات الوطنية ، وكانت القوات الإنجليزية تعسكر فى جبل بوغوص ١٩١٩ ولـكن الأهالى قاوموها وتعرضوا لـكثير من البلاء ، ولـكن الله أنقذ المنطقة منهم ، فبفضل جهودهم وتعريضهم تلك القوات للخطر رحلت تلك القوات وطهرت البلاد

ويطيب لى أن أذكر أن سـعادة محمود فوزى ممثل مصر لدى هيئة الأمم المتحدة ومستشارها السياسى والرجل الذى يعرف دقائق قضية مصر والسياسة المالية من أبناء قويسنا

أبو الفتوح عطيفة

والقراءة بعد التخرج . ذلك أيضا لأننا لا نراعي ميولهم التي هي النواة الحية ونقطة الابتداء والأساس لتربيتهم في مراحل التعليم المختلفة . إن كل اهتمامنا موجه إلى ملء الإناء الفارغ ، إننا نملأ الرءوس استعدادا للامتحان ؛ المدرس يجاهد لإدخال المعلومات ؛ والطالب يكافح لإتقانها حتى يفرغها على ورقة الامتحان ويخرج وقد شعر براحة لأنه قد تخلص من عبئه الثقيل . وقراءة سطرين في كتاب بعد تخرجه تجعله يشعر بالسأم والملل ، وهو إن أراد أن يقضي على أرقه في إحدى الليالي فعلاجه يسير وهو قراءة بضعة أسطر في كتاب . إننا نحن الذين غرسنا في نفسه الكراهية للعلم ، وقضينا عليه ألا يتابع التطور الفكري ويتخلف عن قافلة الزمن ؛ هذا بجانب النسيان الذي يقضي على معلوماته المكروهة وهو يفزعه ولا يهمه أن ينسى كل ما درسه . أليست معه الشهادة تلك الوثيقة الرسمية من الدولة ؟ ماذا يهمه حتى لو أنه أصبح أميا !

إننا في حاجة إلى سياسة محدودة مدروسة في المراحل التعليمية المختلفة لنصل إلى الهدف التربوي الصحيح ؛ ونقضي على الركود الفكري والأمية الفاشية بين كثير من المتعلمين منا . ففي مراحل التعليم العام يجب أن نراعي وضع البرامج التي تمكن كل فرد من أن ينمي ما تنطوي عليه نفسه ، وأن نجعل المدرسة صورة مصغرة للمجتمع الكبير حتى يتدرب النشء على الحياة نفسها . . فالتربية ليست إعدادا للحياة بل هي الحياة نفسها

أما الجامعات في كل أقطار العالم الراقية فهي معاهد للبحث تخرج العلماء في الفنون المختلفة ينزلون إلى الحياة وقد تدربوا على الأسلوب العلمي ؛ يمنحون الإجازات الدراسية ليبدأوا حياة البحث والاستزادة .. مستقلين معتمدين على أنفسهم يستخرجون الحقائق الجديدة من المبادئ التي درسوها وبحثوها . أما إن جعلناها معاهد للدرس لنيل الشهادة ليحصل المتعلم على درجة ممتازة في كادر الموظفين فقد قبرنا مواهب شبابنا ، وأقصيناه عن ميادين العلم والفن وجعلنا منه آلة متحركة وعبدا للوظيفة ، وحرمنا مصر من نبوغ كامن كان يمكن استغلاله في الاختراع والاستكشاف وكل ما يتصل بقوى الفكر . وإذا قضي على الناحية الإبداعية في التفكير فإن الأمة تصبح جامدة متخلفة ذات رتابة مملة وشخصية مطموسة

جميل حقا أن نهتم بزيادة عدد المتعلمين ونيسر التعليم للجميع ؛ وأجمل من ذلك أن نهتم بنوع العلم الذي نقدمه . لقد أولينا الكم ما فيه الكفاية وبقي أن نولي الكيف عناية أشد

إن هدف الأمم الديمقراطية في التربية هو تدريب النشء على أن يفكر بنفسه لنفسه بتنمية قواه العقلية والنفسية والخلقية ، وتغذية ميوله الكامنة ، وإعداد أصحاب النبوغ والعقليات والملكات الممتازة ليكونوا علماء الأمة وروادها في مختلف فنون الحياة . لذا أقول لا فائدة من وضعنا سياسة تعليمية نيسر بها العلم وننشره ما لم نتجه نحو قيم جديدة نصل إليها بالأساليب التربوية الصحيحة التي تجعل النفس تبسط وتعبر عن كيانها ؛ لا عما تختزنه الحافظة محنطا دون روح ولا انسجام

إيليا حليم حنا

روح الانسانية
يقرع باب الاسلام
لمولانا محمد على
للأستاذ على محمد سرطاوى

تمهيد :

هذا المقال القيم كتبه الزعيم الإسلامى العظيم مولانا محمد على — الذى يدلف الآن إلى السنة السبعين من عمره المجيد الذى قضاه فى خدمة الإسلام — منذ أيام فى مدينة لاهور ونشرته مجلة (ليت) الإسلامية فى عددها الصادر فى اليوم الأول من أيار ١٩٥١ باللغة الإنجليزية

لقد تفضلت الرسالة فنشرت فى أعدادها ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ قصة جهاد الحاج خواجة كمال الدين تحت راية الإسلام فى الشرق والغرب ، ولكن قصة ذلك الجهاد لا تكون تامة إلا إذا قرن بها جهاد مولانا محمد على الذى سنقدمه للقراء فى بحث مفصل حين تصل إلينا من لاهور المعلومات التى طلبتها عن طريق الصديق الباكستانى المسلم الغيور السيد تصدق حسين القادرى الذى يبذل من ماله وراحته الشئ الكثير فى سمت المؤمنين لخدمة الدين الحنيف فى عاصمة الرشيد . وأنا حين أنوه باسمه على صفحات الرسالة الغراء لا أكشف عن جندى مجهول من جنود الإسلام فحسب ؛ وإنما أعطى صورة دقيقة عن شعور كل مسلم باكستانى تحت الشمس نحو الإسلام ؛ فلقد طلب إلى أن يطبع على نفقته كتاب مولانا محمد على المشهور (نبى الإسلام) إذا أنا أقدمت على ترجمته إلى اللغة العربية حتى يكون لى نصف ثواب العمل ، فوعدته بذلك مغتبطا بعمل من هذا النوع

ولكن انتظار ذلك المقال المفصل لا يمنع من ذكر ملخص لحياة مولانا محمد على . فلقد ولد عام ١٨٧٤ فى قرية (مرار) فى إمارة (كبورتلا) من مقاطعة البنجاب من عائلة متوسطة ، ودرس فى القرية مبادئ القرآن وقواعد اللغتين الفارسية والأردية . ثم دخل معهد الإرسالية فى لاهور فقضى فيه سبع سنوات وأتقن اللغتين الإنجليزية والأردية ، ودخل بعد هذا النجاح جامعة الدولة فى لاهور وحصل على شهادتين عاليتين . وفى هذه الجامعة ظهرت اتجاهاته الدينية . وقد رغب فى ممارسة المحاماة عام ١٨٩٧ ، ولكنه بدلا من ذلك رأس تحرير المجلة الإسلامية المسماة (ريفيو أورلجن) التى كانت تصدر بالإنجليزية وبقى فى هذا العمل حتى ١٩١٤ . وبدأ بترجمة معانى القرآن الكريم عام ١٩٠٨ . وفى عام ١٩١٤ رأس الفرقة الأحمدية التى انشقت على القاديانية وجعل مقرها مدينة لاهور . ولقد كان صديقا حميا لمحمد على جناح مؤسس الدولة الباكستانية العظيمة ، يستشيره فى كل الأمور التى لها مساس بالأمور الدينية ، وله مؤلفات باللغة الانجليزية كثيرة سأذكر معظمها

ولسنا نتجنى على الحقيقة حين نزعم أننا نحن العرب المسلمين قد قصرنا فى واجب الدعاية للاسلام والتمكين له فى بقاع الأرض كما صنع المسلمون فى الباكستان

والأزهر على جلال قدره وعلو مكانته فى الحياة الإسلامية لم يساهم مساهمة فعلية فى الدعاية للاسلام فى مدة قرون عشرة من عمره السعيد

واللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية لم يكن لها نصيب فى مناهج الأزهر لإتقانها إتقانا واسعا للدعاية للاسلام عن طريقها بين الشعوب التى تتكلمها بالكتب والخطب والمجلات على طريقة الدعاية الإسلامية فى الباكستان

ولم ينحصر تقصيرنا فى الناحية الدينية معاشر العرب ، وإنما تجاوزها إلى النواحى الأدبية والسياسية : فلقد امتلأت المطابع فى البلاد العربية بالصحف السياسية والمجلات الأدبية . ولكن أحدا لم يفكر فى تأسيس صحيفة سياسية قوية باللغة الانجليزية يتولى العرب أنفسهم الإشراف عليها مباشرة للدعاية للقضايا السياسية التى لا يعرف عنها الذين من الإ سمات مشوهة المعالم. حتى لم تفكر جامعة الدول العربية فى إنشاء صحيفة من هذا النوع

فنحن أحوج ما نكون إلى مجلات أدبية وصحف سياسية تصدر باللغات الأجنبية للدعاية إلى آدابنا ومشاكلنا التى لا تزال تفهم فهما مشوها والتى يشوهها خصومنا كما يشاءون فى الرأى العام الدولى كلما اقتضت مصالحهم ذلك التشويه

ويقتضينى الاعتراف بالجميل أن أنوه بفضل الدكتور صفاء خلوصى أستاذ الشرقيات بجامعة لندن بما كان يكتب عن الأدب العربى باللغة الانجليزية فى مجلة (إسلامك ريفيو) من بحوث رائعة كان يتجلى فيها ذوقه الأدبى الرفيع وأسلوبه الفاتن فى اللغة الانجليزية ؛ ونحن نرجو من الدكتور اللهم أن لا يقصر بحوثه الرائعة على آداب العراق فى المستقبل

ونحن نرجو أن لا يبعد ذلك الوقت الذى نشاهد فيه فى كل قطر عربى صحيفة سياسية ومجلة أدبية تصدران بالانجليزية وتبثان الدعاية لأدبنا وقضايانا . فى الوقت الذى جعلت المواصلات الحديثة العالم بأسره بقعة واحدة وأرغمت البشر على التلاق فى صعيد واحد للتفاهم والتآلف فى أجواء قد يسودها الحب والوئام إذا أشرق عليها نور الإسلام فى دعاية مركزة قوية تقوم عليها قلوب مؤمنة بما فى الإسلام من خير للانسانية

قال مولانا محمد على :

تمد الإنسانية المعذبة فى مشارق الأرض ومغاربها أكف الضراعة ، مستنجدة بمن ينقذها من التردى فى الهاوية السحيقة التى تنحدر إلى قرارتها فى سرعة جنونية . فالاعتقاد بأن التقدم المادى غير المحدود ، والسيطرة على الطبيعة بالشكل الذى لم يتوقعه الإنسان سيوصلان الإنسانية إلى السعادة والطمأنينة ، قد قضت عليه حوادث السنين السابقة ، وأضحت الإنسانية تشعر بفراغ هائل لا تستطيع ملئه غير مبادئ دين صحيح . لسنا ننكر أن التقدم المادى قد عاد على الإنسان بفوائد مادية على مقياس واسع؛ ولكنه فى الوقت نفسه قد سلبه الشئ الكثير الذى يمكن أن يوصل السعادة الحقيقة إليه ، وحرمه من السكينة وراحة الضمير . إن الإنسانية تتلمس طريقها فى الظلام الحالك إلى الطمأنينة التى لا يوصلها إليها غير الإيمان بالله ؛ والنظام الذى يسير عليه العالم بأسره . فى حاجة ماسة إلى أن يقوم صرحه الشامخ على أسس متينة من الإيمان بالله ووحدة الإنسانية ، ولا يملك مثل هذا الأساس المتين لتثبيت صرح الإنسانية غير الإسلام

إننا نسمع هذا الصوت مدويا من ديار الغرب هاتفا : «لا يمكن لأوروبا . وهى فى سبيل التحليق بحياتها العقلية فى الآفاق النائية إلا الاستعانة بما فى المجتمع الإسلامى من قوة وأجنحة جبارة تعين على ذلك التحليق البعيد »

ولعلها تبعث إذ ذاك بين شعوب الشرق قوة جديدة تشيع الحياة فى الإسلام ، وربما حولته إلى اتجاه جديد إذا استمرت أوربا مندفعة وراء جنونها المادى . وأى إنسان ينكر الاحتمالات التى قد يتمخض عنها تطور من هذا النوع حين يرى على سبيل المثال ما قامت به الجمعية الأحمدية ، بما تملك حركتها من قوة أخلاقية وعاطفة دينية عميقة ، من النتائج البعيدة المدى فى نشر الدعوة للاسلام فى المواطن البعيدة عن البلدان التى أشرق نوره عليها

إن الغرب متعطش إلى مبادئ الدين الإسلامى ، والمسلمون يتطلب منهم الإخلاص لدينهم الحنيف أن يشمروا عن ساعد الجد، ويخرجوا من عزلة الضعفاء ، ويقدموا للغرب ما هو فى أشد الحاجة إليه من غذاء روحى . ولقد خطت الجمعية الإسلامية فى لاهور بالباكستان الخطوة الأولى فى هذا السبيل حين أسست الإرساليات الإسلامية فى أوربا وأمريكا وفى أقطار الدنيا الأخرى منذ زمن بعيد . وهى بالإضافة إلى ذلك قد أصدرت سلسلة من الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية بكثرة واستعداد وإتقان لم يسبق لها مثيل ، ثم راحت تترجم هذه الكتب إلى لغات العالم المختلفة بعد أن بثت فيها مبادئ الإسلام وروح الإسلام ونبى الإسلام .. بأبرع ما يكون العرض ؛ وبأصدق ما يكون التعبير . ولعل من تمام الفائدة أن نشير إلى هذا الجهد الجبار بشئ قليل من التفصيل :

١) لقد تأسست الإرساليات الإسلاميات لبث الدين الحنيف فى وكنج بإنجلترا .. وبرلين بألمانيا .. وهوج فى هولندا ؛ وسان فرنسسكو فى الولايات المتحدة ؛ وإلى جانب هذه المراكز الكبيرة أنشئت مراكز أخرى للغاية نفسها فى نيجيريا .. وغانة المولندية ، وغانة البريطانية ؛ وترنداد ؛ وإندونيسيا ، وسيام ، وبورما ، وأماكن متعددة أخرى فى بلاد الهند

٢) لقد تم إنشاء مسجد فخم فى برلين

٣) ترجمت معانى القرآن الكريم إلى تسع لغات ؛ نشرت منها فيما سبق ترجمات بالإنجليزية ، والألمانية ، والهولندية ، والأوردية. وتمت ترجمته أيضا إلى خمس لغات أخرى هى التميلية ، والسندهية ،

والجرموخية ، والحاسية ، والحافية ، وقد تمت هذه الترجمات وأصبحت معدة للطبع الآن . وتقوم اللجان الأخرى بترجمة معانى القرآن إلى النغالية ؛ والسيامية، والبرمية؛ والهندية، والفرنسية

٤) لقد وزعت من ترجمة القرآن بالإنجليزية أكثر من ستة آلاف نسخة مجاناً، وبلغ مجموع النسخ الموزعة أربعين ألفاً. وتتخذ العدة الآن لطبع عشرين ألف نسخة جديدة

٥) ولقد ترجمت حياة الرسول ونشرت فى سبع عشرة لغة من لغات العالم ، كالإنجليزية ؛ والألمانية ، والعربية ؛ والألبانية .. ووزعت مجاناً أكثر من عشرين ألف نسخة

٦) ويعتبر كتاب (الدين الإسلامى) الذى ألف بالإنجليزية دائرة معارف بذل فى تأليفه جهد كبير ؛ وهو يتحدث عن مصادر الإسلام ومبادئه العملية ، وتعاليمه . وقد تم نشره فى لغات ثلاث هى : الإنجليزية ، والهولندية ؛ والتركية .. وهو ينقل الآن إلى اللغة العربية

٧) ومجلة (ليت) الإسلامية الأسبوعية التى تصدر بالإنجليزية فى لاهور ويشرف على تحريرها أقراب الدين أحمد ؛ تقوم بعمل جبار فى نشر مبادئ الدين فى أنحاء الدنيا التى يتكلم الناس فيها الإنجليزية .. وهى تطفح كل أسبوع بالمواضيع الإسلامية الرائعة ويشترك فى تحريرها فطاحل الكتاب

٨) ونشرت كتب أخرى متعددة عن نواحى الإسلام فى ثلاثين لغة من لغات البشر

٩) تنشر رسالة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها بين الأمم والأفراد عن طريق إرسال الكتب الإسلامية مجاناً إلى أكثر من خمسة آلاف مكتبة فى العالم من مجموعة الكتب التالية

ا) ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الإنجليزية مع التعليقات المطولة على الآيات الكريمة

ب) الديانة الإسلامية

ج) مختصر الأحاديث النبوية

د) محمد رسول الله

هـ) الخلافة الأولى

و) نظام العالم الجديد

ز) الأفكار الخالدة للنبى محمد

ح) تعاليم الإسلام

١٠) توزيع كتب مجانية عن نواحى الإسلام المختلفة فى عدة لغات بكميات هائلة ، وهى ترسل مجاناً لكل من يرى فى نفسه القدرة على توزيعها

١١) تأسيس ثلاث مدارس عليا للدراسات الإسلامية

١٢) إن الموازنة السنوية للدعاية الإسلامية تزيد على عشرة ملايين روبية أى ما يساوى أكثر من مائة ألف جنيه استرلينى . وتبلغ ممتلكات الجمعية الإسلامية الأحمدية فى لاهور أكثر من خمسين مليونا من الروبيات

وتغتبط هذه الجمعية بقبول التبرعات من جميع المسلمين الذين يسرهم أن يروا نور الإسلام مشرقاً فى ظلام الدنيا ، فالزكاة والربح الذى تدفعه المصارف على الأموال المودعة لديها ، والصدقات الأخرى .. هى موارد إسلامية ينبغى أن تصرف لهدف عظيم من هذا النوع يخدم مبادئ الإسلام . والذين تهزهم الأريحية ويجدون لديهم الرغبة فى إرسال شئ ، فليوجهوا مشكورين ما يرسلون إلى أمين سر الجمعية الإسلامية الأحمدية فى لاهور بالباكستان

بغداد — أعظمية **على محمد سرطاوى**

الأدب واللغة

من الكائنات الحية

للأديب محمد عثمان الصمدي

ينهض الأدب واللغة تبعا لنهوض الدولة وامتداد سلطانها ، ويقوى ساعداها بالقياس إلى قوة ساعد الدولة أيضا . هكذا يقول بعض الباحثين ومؤرخى الآداب والفنون . وقد يكون هذا أو بعضه حقا ؛ ولكن من الحق أيضا أن ليس الأمر مقصورا على اللغة أو الأدب أو الفن ، وإنما هو ينسحب على سائر مرافق الدولة ، وعناصر الحياة فيها ، وكل ما من شأنه أن يكون من مقوماتها . ولكنها تختلف ويسبق بعضها بعضا إلى الوجود بحسب الحاجة إليها ، والباعث عليها ، وبحسب ما يكتنفها من صعاب وعقاب . وأخيرا بحسب قدرة الدولة على الخلق والإيجاد ، أو البعث والإحياء . وإنما كان الأدب أسبقها جميعا إلى النمو والازدهار لأنه وليد الفطرة لا يحتاج إليه سائر العناصر والمرافق والمقومات.. ولأمر ما أجاد الجاهليون الشعر

وقد عجب بعض البحاث من العربية حين قويت واشتد ساعدها فى مدى العصر العباسى كله ؛ لأنها لم تأبه لما منيت به الدولة من تدهور سياسى فى القرن الرابع الهجرى . ثم عللوا ذلك بأن الفاتحين لم تكن لهم لغة جديرة بالإحياء . ولأنهم كانوا يتخذون الشعر دعاية لدولهم الناشئة . ولأنهم مع هذا كان لهم تمكن فى الأدب ومشاركة فى فنونه »

ولعل هذا أو بعضه أن يكون حقا . ولكن يجدر بنا أن نلاحظ مع هذا أن الأدب كائن حى كسائر الكائنات الحية . فمنذ أن نمته الدولة بعد الجاهلية ، وأصبح يتلقى المؤثرات التى جاءت نتيجة للصراع السياسى وما إليه ، صار له من الأغراض والأهداف مالم يكن له من قبل . وما هى إلا أن اتسعت هذه الأغراض وامتدت على مدى الأيام.. وأصبح كثير من الشعراء يطرقونها لا لشئ إلا أنها موضع للاجادة والتفوق والتبريز .

وبعبارة أخرى أصبحت ضرورة فنية دون أن يكون لها من الحياة ما يوحى بها أو يحمل عليها . وإنما يوحى بها ما سبقها من آثار جاءت فى أول الأمر نتيجة لمؤثرات الحياة الواقعة ، وما تمخض عنه من أحداث . ثم أصبحت هذه الآثار تؤثر بدورها كالحياة الواقعة فى الشعراء وأرباب البيان . ومن ثم فقد صار للأدب حياة قادرة على أن توحى وتلهم ، وعلى أن تمس النفوس فتفجرها أريحة واهتزازا وطربا ، وعلى أن تأخذ بالعقول إلى حيث تفكر وتقدر . وقليل أولئك الذين يفرضون أنفسهم وأدبهم عليها وعلى الأدب فرضا . وهم مع ذلك لا يكاد يخلو الأمر من أن يكونوا متأثرين تارة ومؤثرين أخرى . وإلى هذا فإن حياة الأدب ككل حياة يختلف عليها ما يختلف على سائر الكائنات الحية من قوة وضعف وتطور فى الغرض والوسيلة والاتجاه . إلى غير ذلك من ملابسة الزمن ومخالطة الحضارة التى يستمد الأدب جدته منها ، والتى تسمه آخر الأمر بميسمها فى اللفظ والمعنى والهدف والأداء . وإذا جاز لنا أن نشبه الأدب بالإنسان قلنا إنه يلابس الأدوار التى يلابسها الإنسان من طفولة فصبا فشباب فكهولة فشيخوخة فموت . ولسنا نريد أن نقول إن الأدب عابث لاغ فى طفولته كالطفل . أو أنه قوى طاغ فى شبيبته كالشباب ، وإنما نريد أن نقول إن الأدب كائن حى نام يحمل فى أدوار نموه عناصر الموت والفناء . وقد تطول أو تقصر إحدى هذه المراحل أو كلها مجتمعة بالنسبة إلى عوامل حضارية وأخرى ثقافية واجتماعية ، وإن كان لا تخلو كل مرحلة من آحاد يعيشون بأذواقهم وعقولهم فى بيئات سلفية أو مستقبلية . ففى عهد الطفولة تظهر الفطرة بجميع مميزاتها من حسنات وسيئات . لا تكاد ترتفع ببصرها إلى السماء ولا تهبط إلى الأغوار ، وإنما تتخذ ما يحيط بها من حيوان ونبات وجماد موضوعا للقول وأداة للتمثيل والتخييل . وهى لا تنزع إلى غايات اجتماعية أو إنسانية . ولا يعدو بصرها إذا امتد شؤون القبيلة وما هو من ذلك بسبيل . تؤثر الكرم والوفاء ؛ وتأنف أن تتقيد بشئ إلا ما يتقيد به نفسه الرجل الحر . وأنت لا ترى عندها فرقا كبيرا بين الإباء والجماح . أو بين الكرم والتضحية . أو بين الوفاء والفداء . أو بين الشجاعة والتهور . أو بين الصراحة والفلتة

والفظاظة . وبالتالى فهى تتسم بالصدق ودقة الملاحظة وحرارة الإحساس ومماطفة اللغة عطافا قلما نشعر بمثله نحن الآن . وهى نحن حنينا قويا إلى تحقيق قول القائل

أطيب الطيبات قتل الأعادى واختيال على متون الجياد
ورسول يأتى بوعد حبيب وحبيب يأتى بلا ميعاد

ثم إن شعر الرثاء فيها لا نكاد نجد له مثيلا فى الصدق والحرارة فى سائر المراحل والعهود التى تليها جميعا . وهى جامدة لا تكاد تتطور إلا بحدث يهزها هزا عنيفا ، وينال منها ومن تقاليدها وعرفها نيلا شديدا . ولكنها تقاومه أحيانا وتذعن له حينا . يظهر ذلك فى حياة الأدب عامة . وفى حياة المنبين بالإذعان والمقاومة على وجه خاص . ومن ثم فقد ظفرت حياة الأدب بشئ من التطور والانتقال ، ووسعت أغراضا جديدة ، وأحيت مثليات قديمة . وأصبحت فى صبا غض تتفتح فيه المدارك وتتهيأ لما عسى أن يتكشف عنه عهد الشباب من دوافع البعث والإيقاظ . وإذن فقد صار لها امتداد مكفول يأتيها من نفسها حينا ، ومما حولها حينا آخر . ونحن حين ننظر إلى عهود الخلفاء الراشدين بحسبانها امتداداً لعهد النبوة . كذلك نرى الأدب فى ظلها امتدادا لذلك العهد أيضا . ولا نكاد ندع هذه العهود إلى عصر بنى أمية حتى يدخل الأدب مرحلة الشباب من حياته.وهنا يقوى حقا قوة لم تر مايقرب منهافى سائر المراحل والعهود. وإن لم يسع من الأغراض ما وسعه فى العصر العباسى بعهديه أوله وثانيه . فالسلائق كمهدها من قبل غنائية لم تتقد بضروب الثقافات ، ولم تصبح رواسب عقلية كما سنرى فيما بعد . ولكنها تصدر عن تلك النفس العربية السمحة الكريمة، نازعة إلى مثل عليا هى جماع الخلال الرفيعة للعربى فى الحب والأدب والسياسة والاجتماع

أما اللغة فقد نالها غير قليل من التطور والصقل والمرونة . ذلك لأن العربى فى عهود اللغة الأولى كان يحس فى اللفظة الواحدة شحنة عاطفية وجدانية . وكانت صوتية اللغة تصور له المدلولات تصويراً ليس إلى مثله من سبيل فى زمننا هذا إلا بالجمل الفضفاضة والعبارات، فلو أن عربيا رأى حية ولم يكن عرف اسمها من قبل، ثم ذكرت له لفظة الأفعوان وهو جاهل بها أيضا لوثبت إلى ذهنه صورة الحية التى كان قد رآها من قبل فيما رأى . فإن فى لفظ الأفعوان وهو يتلوى ويمتد فى النطق لدليل على ما يمتاز به من خصائص ومميزات . ولو ذهبنا نفترض أن قبيلة من قبائل العرب كانت تدعوه حنشاً ، وأخرى كانت تدعوه (الأرقم) . ثم عرض لفظ الحنش للأخرى فلا تلبث أن تدرك على نحو ما يراد بهذا اللفظ من مدلول . ذلك لأنه مصور لخصائص عديدة فيه . فاللفظ فى جملته مصور له وهو ممدود على النحو المعروف . أما الحاء فهى منه بمثابة الرأس . وأما النون تفيدنا دقة جسمه بحركتها المفتوحة وهى خارجة فى النطق مع أخويها الحاء والشين هوائية هكذا . وكذلك الشين فهى ربما أعطتنا مغازلة الشمس لجلده وهو يتألق ومضا ولمعانا

للكلام بقية

أحمد غزوان المصرى

رسالة الشعر

الشاعر

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

شف روحاً وراق فيض جنان   وارتوى من منابع الرحمن !
أطلق الله روحه فتجلى   شاعراً واستوى نبي معان !
وتلك أيضاً تهدى كأختها قصيدة شقيق الروح
الأستاذ الملهم الشاعر أنور العطار .. الى مهذب الروح ،
ومثقف العقل .. من كان له فضل تفجير ينابيع نفسي ..
أستاذي الجليل «الزيات»   حسين

شف روحاً وراق فيض جنان   وارتوى من منابع الرحمن
زخرت مقلتاه بالنور والـ   ظل ففاضت من ناظريه المعاني
غمرته الحياة .. فهو حياة   ووعاه النشيد فهو أغان
في حساب الزمان سار خلوداً   ويعرف المكان فوق المكان
جمع العالم الوسيع بروح   يسع الكون في شفيف كيان!
كان معنى في خاطر الأكوان   يتهادى رؤى وراء الزمان
أطلق الله روحه فتجلى   شاعراً واستوى نبي معان !

* * *

يا له شاعراً يكاد من الفـ   ن يذيب الفؤاد في الألحان
رجع حناته ترانيم خلد   وصدى قلبه نشيد حنان
الخيالات بين جنبيه نشوى   من رحيق مقدس روحاني
تترسلن أغنيات بقلب   عبقري الإغفاء والثوران
ملهم ظامئ المشاعر لهفا   ن لخمر الحياة في كل آن
فاض من حوله الخيال وشاع الـ   فن .. يا للمفرد الفنان

* * *

أيها الشاعر المفيض على الكو   ن من روحه فيوض البيان
إنما أنت ملهم عبقري   دينه الفن جل في الأديان !
رب شعر مقدس روحاني   من فؤاد مقدس ريان
ومعان تنساب إثر معان   حيوات مفجرات الحنان
طهرت لحنها أكف قدا   سات ففاض القيثار بالإيمان
أنبياء الفنون إشراقة الله   بأرض السراب والبهتان
نبضة الطهر في حنايا وجود   دنسته غرائز الإنسان

* * *

يابني الترب .. إن روحا من الخلـ   ـد تجلى بشعره النوراني
لاح في جدبكم ربيع قلوب   وسرى بينكم بشير أمان
شاعراً ينبض الخيال بكفيـ   ـه كنبض القلوب في الأبدان
ساخراً يقهر الحياة بروح   سخرت من ضلالة الطغيان
خالقاً للجمال في كل آن   عابداً للجمال في كل آن
ملهما يبعد الحقيقة في الكو   ن ويطوي متاهة الأزمان
كلما شاقه فراق ربيع   سبق العمر للربيع الثاني
يا له شاعراً يحدثه الفجـ   ـر حديث المتيم الولهان
وحفيف الأنسام قبل عطفيـ   ـه ففاضت نسائم الوجدان !
وطيوف الوجود أوحت إليه   كل سر خفى وراء العيان

* * *

إنه الشعر كالغواني جمالا   هل رأيت القصيد مثل الغواني
كل بيت حسناء أبدعها الله   بحسن يسمو على الإحسان
فتن كالسنا الأغر محلاة   بإشراقة من الألوان
يدفق الشعر من براعم نجواها   ويفتر عن معان حسان
ما تراها كأن خفق صداها   همسات التحنان للتحنان
تملك الروح آسرات وتشتق   طريق الإلهام للفنان
دفقات من الشاعر تنساب   خيالا منغم الأوزان
سلست منطقا وراقت رويا   واستوت صورة وصدق بيان
إن ألفاظها تشف عن المعـ   ـنى كما شفت القلوب الحواني
فهي روح من روحه قد تسامت   عن قيود الإبهام والإدجان
وضحت كالندى وقد قبل الزهـ   ـر بفجر معطر نديان

* * *

يا ضمير الوجود ما أنا إلا   شاعر هائم وراء المعاني
لي قلب أرق من نسمة الفجـ   ـر وأصفى من عطرها الريان
أعبد الفن في الحياة وأحيا   عابداً للجمال في كل آن
كلما شاقني فراق ربيع   أسبق العمر للربيع الثاني

حسين محمود البشبيشي



مناقشة هادئة مع الأستاذ الناعورى

القيم الفنية فى الشعر المتطلق

للأستاذ سلم غاوى عبد الجبار

أصدر الشاعر العراق بدر شاكر السياب ديوانه الأول (أزهار ذابلة) عام ١٩٤٨ ، وقد تفردت قصيدة (هل كان حبا) من بين قصائد الديوان بطريقتها التعبيرية الجديدة ، هذه الطريقة التى آن للشعر العربى أن يدركها . وبعد صدور الديوان استرسل بدر فى نظم قصائده ، وفقا لطريقته الجديدة ، وقد جمعها فيما بعد فى ديوانه الثانى (أساطير)

وقرأت الشاعرة العراقية المبدعة نازك الملائكة ، هذه القصائد ، — كما قرأها آخرون يهمنا منهم الآن صالح جواد الطعمة — فصادفت عندها قبولا ومن ثم حاولت مجاراة الشاعر — فى موسيقاه — فنظمت أغلب قصائد ديوانها الثانى — شظايا ورماد — وهى تتأثر خطى بدر . وفعل صالح كذلك ، فنظم بعض قصائد (ظلال الغيوم — و — والربيع المحتضر) على هذا المنوال

وقد كتب بدر ، ونازك ، عن هذه الطريقة ، أما بدر فقد اكتفى بإشارة تهدى السارين ، ولم يسهب . وأما نازك فقد أفاضت بالكلام .. ولكن عن القيم (العروضية) فقط ، مما يدلنا ، دلالة واضحة ، على أنها لم تفطن للقيم الأخرى ولم تتحسس بها ، وليست ملومة على ذلك ، فلا يطلب من الشاعر ، ما هو من حصة النقاد

ولكن النقاد لم يقصدوا لهذه الطريقة ، ولم يدرسوها ، دراسة موضوعية شاملة فرضها الأصيل ، توضيح القيم ، وتثبيتها للآخرين ، فمثل هذه الدراسة تحتاج إلى جهد مضن ، مما قد يتحول عن مثله النقاد العجالى

على أن أمامى الآن عددين من أعداد مجلة الأديب البيروتية(١) ، وفيهما مقالات للناقد الأردنى الأستاذ عيسى إبراهيم الناعورى ، حاول فيهما مثل تلك الدراسة ؛ ولكننا نراهما بعيدين من الروح العلمية ، هذه الروح التى تحتم على كل ذى مقال نقدى أن يلتجئ إليها ، وإلى الذوق المرهف الحساس ، وكان من الطبيعى وقد تناءى الأستاذ عن ذلك ، أن يتورط فى أخطاء علمية بارزة ، وأخطاء ذوقية وعرة ، لا يرتضيها الواقع الشعرى ، ولهذا وددنا قبل أن ننطلق فى تثمين هذا الإنتاج ، أن نقف قليلا ، ونناقشها ، مناقشة علمية هادئة ، بدون تحيز إلا للعلم ، وبدون خضوع إلا للذوق

قال الأستاذ — وهو بصدد الأسلوب التعبيرى الجديد (٢)

« ولكنه جاء يشبه النثر بتفعيلاته غير المتجانسة ، وغير المنضبطة فى نظام موسيقى »

لابد وأن الأستاذ — مع احترامنا الوافر له — لم يقرأ مقدمة شظايا ورماد وإلا لأدرك أن التفعيلات ليست متجانسة فقط ، وإنما هى (متطابقة) . وأزيد للتوضيح فأقول إنها عبارة عن تفعيلة واحدة مكررة — فى كل بيت — عدداً من المرات يتغاير — عدديا — مع البيت الذى يليه أو يسبقه تغايرا يشاؤه الشاعر أو بالأحرى كما يتطلبه المعنى ، وذلك لأن هذا الشعر يعتمد على (الأبحر الكاملة) المتساوية التفاعيل

ثم ... ما الذى يقصده الكاتب بجملته (وغير منضبطة فى نظام موسيقى) إذا كان ما يقصده بالنظام الموسيقى هو الطريقة السلفية — الكلاسية — فالشعر الغربى منذ هوميروس وإلى الآن غير منضبط فى نظام موسيقى ، وهذا ما لم يقله أحد

هذا وقد أحس الشاعر العربى منذ القدم بقساوة هذا النظام — نظام الشطرين المتوازنين — والتفاعيل الثمان — فحاول الانفلات منه ، فابتدع المجزوء ، والمشطور ، والمنهوك ، وتوج ابتداعه (بالموشح) ، ولم أقرأ مقالا لناقد عربى أو غربى يتهم هذه الفروع الشعرية — وخاصة الوشح — بالخروج على النظام الموسيقى !!

إن النظام الموسيقى للشعر العربى (أو الغربى) لا يحدد

(١) العدد ٣ ، ٢ — ١٩٥٢

(٢) العدد الثالث — الشاعرة العراقية نازك الملائكة ص ٢٤

يا أستاذ بنظام الشطرين — الأبحر — بقدر ما يحدد بالتفعيلة الواحدة ، أو التفعيلتين ! (٣) راجع أوزان الشعر للدكتور محمد مندور . في الميزان الجديد

ثم يقول الأستاذ في مكان آخر من مقاله الأول (العدد الثالث)

«ولكننا لانظلم الشاعرة إذا قلنا إن طريقة النظم فيها (٤) لم تعرف الرحمة بآذان القراء وأذواقهم الشعرية »

أرأيت ـ طريقة النظم ـ وليس نظم الشاعرة ، إن الأستاذ هنا (يحابي) الشاعرة ـ ومعذرة من الصراحة ـ فلا ينسب الفشل إليها ، بل يرجعه إلى (طريقة النظم !) فشأن الأستاذ كشأن ذلك التلميذ الذي تستعصي عليه مسألة رياضية فلا يستطيع حلها ، ولا يستطيع اتهام أستاذه بقدرته على التفهيم ، فيلقي القلم — مرتاحا — ليقول « إن المسألة مغلوطة !! »

ما ذنب (طريقة النظم) إذا فشل الشاعر في التعبير بواسطتها ؟ وهب أن قارئا — مثلي — استطاع البرهنة على صلاحية (طريقة النظم) وعـــدم تخديشها لآذان القراء ! وأذواقهم الشعرية ، فما يكون موقف (طريقة النظم) آنذاك ؟ أتكون تعرف الرحمة ولاتعرف ، في آن واحد !

ثم من الذي أخبر الأستاذ بآذان القراء وأذواقهم الشعرية ! هل استفتى القراء — والعصر عصر التجريب — أم اعتمد على رأي موثوق بصحته له أثره التوجيهي في تاريخنا النقدي !

ألا يجوز اعتبار تنادي شعراء العراق للتعبير وفقاً لهذه الطريقة دليلا على رحمتها بآذان القراء ، والشعراء (وهم من أدق القراء إحساسا) فما إن ابتدع بدر هذه الطريقة حتى تسابق الشعراء العراقيون ، ونسجوا أشعارهم على تلك الطريقة؛ أذكر منهم نازك ، صالح ، بلند الحيدري، عبد الوهاب البياتي، شاذل جاسم طاقه ، عبد الرزاق عبد الواحد

ثم إن الكاتب احترس فحدد تذوق القراء بالنسبة لقصائد ثلاث من قصائد الشاعرة ، فما الرأي في القصائد الأخرى المنظومة بنفس (طريقة النظم) لماذا لم يشر الكاتب إلى طريقة النظم فيها؟

إذا ما أراد الأستاذ أن يصدر هـذا الرأي — الذي كاد يـكون حكماً — من وجهته الذاتية فله كل الحق أن يتحدث عن نفسه ، أما أن يشرك آذان القراء وأذواقهم الشعرية ، فهذا ما هو بعيد عن الحياد العلمي

ولـكن لـماذا لم تعرف طريقة النظم فيهـا — كما يقول الأستاذ — الرحمة بآذان القراء ، وأذواقهم الشعرية . لابد من سبب ، والأستاذ ماهر ، لايعوزه ذلك فاسمعه متمماً جملته السالفة

« فقد ألف القراء في الشـــعر العربي إيقاعا موسيقيا متجانساً ، فوجدوا هنا نظاماً غريباً مقلقاً يصدم الأذن بشـكل عنيف »

والمطلوب من الأستاذ أن يعرف — لنا الإيقـاع — تعريفاً علميا ، فالذي أفهمه أنا من الإيقاع ، التعريف الذي جاء به مندور إذ يقول

« تعرف الإيقاع ؟ ! فهو عبارة عن رجوع ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة »

فمن تعريف مندور يتراءى لنا أن الإيقاع لاعلاقة له بنظام الشطرين .لاعلاقة له مطلقاً، هذا وليس هناك إيقاع (غير متجانس)

« فأنت — والكلام لمندور — إذا نقرت ثلاث نقرات ، ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاثة السابقة ، وكررت عملك هذا ، تولد الإيقاع من رجوع النقرة القوية بعد كل ثلاث نقرات »

ومن هـذا التبسيط الأخير يلزم وجود الإيقاع التجانس (وكل إيقاع متجانس) في الشعر الجديد كما في الشعر القديم

وما دام النقد هو فن دراسة النصوص — كما يقولون — فلم يعد بالإمكان الرضوخ والقنوع بمثل قول الأستاذ « فوجدوا هنا نظاما ... » إذ أصبح من اللازم أن يقوم الناقد — بوضع خطوط سوداء — ! تحت استنباطاته كأن يبين أثر هـذا اللفظ ، أو ذاك ، وأثر هـذه التفعيلة أو تلك ، أما أن يرسـل (تذوقه) إرسالا مطلقاً ، فهذا ما لا نقره عليه (٥)

(٣) تفعيلة واحدة إذ كانت الأبحر متساوية التفعيلات — كاملة — وتفعيلتان في الأبحر المتجاوبة التفاعيل

(٤) يعود الضمير على قصائد ثلاث ذكرها الشاعر في مقاله

(٥) وعلى سبيل المثال لنشهد بمقالات الشعر المهموس لمندور ومقال الشاعر أبوريشة ينتقد فيه للأستاذ الحازم إبراهيم المريض، الأديب العدد الخامس السنة الثامنة (٤٨)

ثم تابع الأستاذ

« والحقيقة أن القارئ يسير مع الشاعرة فى هذه القصائد وأمثالها (ا) لاهثاً من التعب .. فهناك بيت طويل ، وآخر قد لايزيد على لفظة واحدة »

ماذا نقول للأستاذ ! أيصح لدينا أن ننبذ هـذا اللون من الشعر لمجرد أن هناك بيتاً طويلا . وآخر قـد لايزيد على لفظة واحدة ، أم يتحتم علينا — كنقاد — أن نقف باستغراق وعمق إزاء هـذا الإنتاج ، وكل إنتاج ، فنتساءل — مادام الشاعر قد ارتضاه — عن مدى ما فيه من طاقة ، ونستقرئه استقراء دقيقاً شاملا ، ونحلله تحليلا جزئيا ، ومن بعد نصدر حكمنا القاطع عليه

لا عليك — يا أستاذنا — من الرتابة التقليدية ، فإنها أصبحت لاتثير ولاتوحى ، عليك أن تنظر إلى المعنى ! فاذا كان القصر أو الطول ممـا يقتضيه المعنى ايستثير الخيال والعاطفة ، رحب به ، وافسح له صدرك

هل يجوز لنا أن ننتقد — رساماً لاشيء إلا لأنه يستعمل لوناً واحداً أولونين فى صورته — راجع المدرسة الثانوية فى الرسم — (الأديب ت ١٩٤٨)

ألم تلاحظ يا أستاذ أن غرض الشاعر هو الخروج عن ذلك التوازن الهندسى !

هذا ما جاء فى مقال الأستاذ الأول ، ولم يزد فى مقاله الثانى — الأديب العـــدد السابع ١٩٥٢ على ترديد ما سلف قوله فاسمعه (٦)

« إلا أن تشكيلة تفعيلاته غير المتجانسة تمنع من رؤية الجمال والحيوية فيه » وقوله « فلو جاءت هـذه القصائد على أوزان وتقطيعات متناسبة متناغمة ، لـكانت أجمل وألطف وقعاً فى النفس ففيها معان جميلة ولـكنها ضاعت بالصياغة »

أما عن جملته الأولى فقد ناقشناها من قبل ، وأما عن جملته الثانية فقراء عبد القاهر الجرجانى ، يدركون مقدار مافيها من التواء ، فالمعنى لا كيان له — إلا ظلا ضئيلا لايعبأ به — خارج الصياغة ، وليس لنا أن نتساءل عما يصبح عليه المعنى إذا ما تبدلت الصياغة تبدلا جوهريا ، فعلينا تقبله أورفضه ضمن الصياغـــة

ولا أفهم أكثر تناسقا وتناغما من سيطرة تفعيلة واحدة على كافة أبيات القصيدة

على الأستاذ الـناهر أن يتحرز من استعمال كلمة خارج دلالاتها العلمية المتفق عليها (وسك الأفكار — كما يقول جورج ديهـاميل — مجازفة خطرة) . مما سبق يتضح لنا بجلاء أن الـكاتب الأردنى لم (يحاول) أن يسير وفق المنهج العلمى للنقد ، ولم يختط له خطة مثلى ، تعينه على اجتياز مشاق الطريق ، وعلى ثغره ابتسامة ناضرة

ولودرس الـكاتب الشعر العراقى — الجديد — دراسةموازنة ، وراجع شعر بدر ، والآخرين ، لما تورط

(وموعدنا فى عدد قادم)

العراق — العمارة سليم غاوي عبد الجبار

(٦) الشاعر العراقى صباغ جـــواد الظلمة ، الأديب يونيو ص ٤٤ سنة ١٩٥٢



الفلسفة الصحية في الإسلام

تأليف الشيخ جلال الحنفي

للأستاذ عبد الخالق عبد الرحمن

هـذا الكتاب الصغير أصدره فضـيلة الشيخ جلال الحنفي رئيس جمعيـة الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق ، وبالرغم من أن هـذا الكتاب يغلب عليه الطابع العلمي إلا أن أسلوبه كان رائعاً حقا ، فالشيخ الحنفي من المتأثرين إلى حد بعيـد بأسلوب أستاذنا الزيات صاحب الرسالة ، فهو يقتفي آثاره ويترسم خطاه ، ولا أدل على ذلك مما جاء في العدد الأخير الصادر بتاريخ ٨ تموز سنة ٩٥٢ من الصحيفة التي تصدرها الجمعية التي يرأسها الحنفي حيث يقول : (... واحترامنا الفائق للأسـتاذ الزيات وإعجابنا بأسلوبه الجميـل وبلاغته المشهودة ... الخ) ، والأستاذ الحنفي لا يترك فرصـة تفلت من يده دون أن يشـيد بأسلوب الزيات الرائع ، وديباجته الساحرة ، وفنه اللامع

والحنفي في كتابه هذا يعالج مشكلة من مشاكلنا الاجتماعية التي عالجها الإسلام ، فكتابه هذا لم يكن بالكتاب العادي ، فهو غير عادي في دروسه وأحكامه ، لما يتناول من القضايا التي تهم جزءاً كبيراً من البشرية في حياتها كل يوم

يقول في فصل (الحياة كفاح) لا نغلو إذا قلنا إن الإسلام كان أول دين سماوي عنى — بصورة دقيقة — بمثل هذه النواحي الحيوية ، وذلك لأن الإسلام قام على فلسفة عميقـة في توجيه الإنسان إلى فهم الحياة . فالحياة في الإسـلام كفاح في سبيـل تثبيت دعائم السلام والفضيلة والإنسانية ، وهذه الأقانيم العظيمة لا تستقر إذا كان الدعاة إليهـا مرضى ، ولا تسـتمر إذا كان العاملون عليهـا يلتحفون ملاحف الهزال والضنى والعـلة ، إلى آخر هذه الكلمات التي تفيض بالحكمة وتحض الناس على التمسك بالصحة وفهم الدين على وجهه الصحيح

والواقع أن هذا الكتاب من الكتب التي يعتز بها ، ولست أشك أبداً في أنه إذا ما انتشر في البيئات الإسلامية حق الانتشار خليق بأن يوقظها على آفاق جديدة ، وأن يحـدث في جنباتها دويا فكريا

جاء في فصل (فوائد الاعتدال وأضرار الشراهة) ما يلي : من القواعد الصحية السديدة التي وضعها الإسلام قاعدة الاعتدال وعدم الإسراف ، ففيما يتعلق بتناول الطعام مثلا نقرأ في القرآن الكريم : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) ، ونجـد في الحديث النبوي : (إن المؤمن ليأكل في معى واحدة وإن الكافر ليأكل في سبعة أمعاء) (١) فالاعتدال في الطعام والشراب طريق من الطرق الموصلة إلى سلامة الإنسان من الأسقام ، وقد كان هذا الموضوع من الموضوعات التي تردد عليهـا الكلام في الآيات الكريمة والحديث النبوي الشريف ، لأن الاعتدال أصل مهم في الصحة ، وقد استشهد المؤلف بعدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية تثبت ما ادعاه . فمن الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام (حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولابد فثلث للأكل وثلث للشرب وثلث للنفس) . وقد وصف الله ذوي الشراهة في التهام الأطعمة بأنهم يأكلون كما تأكل الأنعام ، وهذا وصف أراد الله تعالى به أن يذكر الناس بمصير من يأكل كما تأكل الأنعام وهو الغباء والغفلة والحرمان من فهم حقيقة الحياة

وجاء في فصل (الحجر الصحي) والإسلام أول دين سماوي وضع نظام الحجر الصحي عند حدوث أوبئة عامة ، فقد جاء في الحديث النبوي النهي عن الدخول في أرض أصابها الطاعون ، وكذلك النهي عن الخروج منهـا ، وقد كان لهـذا الابتكار الصحي العظيم أثر ملحوظ في حماية البشرية من الموت بالجملة ، أما ما كان يحـدث في بعض فترات التاريخ من الأوبئة الماحقة التي كانت تفتك بالنـاس في عواصم الإسـلام خلال العهود الأخيرة فما كان ذلك إلا من جراء الغفلة عن الأخذ بهذا النظام الصحي الدقيق

وقد حث النبي أيضاً على اجتناب الوبوئين بالأمراض المعدية

(١) المراد بالكافر هنا الوثني الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر ومنها ما يشدد غريزة الجشع في نفسه فيجعله مفرطاً في ملاذه

فقال : (فر من المجذوم فرارك من الأسد) والغرض من ذلك حماية الصحة أولا ولفت أنظار الهيئة الاجتماعية إلى عدم الاستهانة بالأمراض المعدية ووجوب معالجة المصابين بها

وقد أمر النبي بغسل الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب لما ينقله لعاب الكلب من الأمراض

ومما يؤخذ على الشيخ الحنفي الاستشهاد ببعض الحكم الدينية القديمة بينما الكتاب يبحث عن الصحة في الإسلام ، فمن ذلك قوله : (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان) ، واستشهاده أيضاً بالحكمة القديمة القائلة : (إذا امتلأت المعدة فسدت الفكرة) وعلى كل فإن هذه الهنات الهينات ، لا تحط من قدر هذا الكتاب المفيد

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن

النقد الأدبي

للدكتور أحمد أمين

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

حسب القارئ الذي يطلب خلاصة مركزة مهضومة سهلة التناول في النقد الأدبي ؛ أصوله ؛ وتاريخه ؛ هذا الكتاب الذي يقدمه أستاذنا لطلاب الثقافة الأدبية ؛ النقدية؛ فهو يعد أوفى كتاب في اللغة العربية في باب النقد وتاريخه ؛ فليس يغني غيره عنه . وقد يغني هو عن كثير من الكتب في هذا الباب . ولكن ما خصائص أسلوب هذا البحث القيم الفكري والفني ؟ أما عن أسلوبه الفكري أي مادته العلمية فهي تتسم بالإحاطة والشمول بكل ما قيل بصدد المسائل التي يتعرض لها في اللغة العربية واللغات الحية ؛ ثم موازنة ؛ وهضم هذه الأفكار ؛ ثم مزجها مزجا فنيا ، وتقديمها بأسلوب أستاذنا الهادئ ، الطيع ، السلس ، اللين ، حتى تشعر أنك قد ألممت بعصارة الآراء مبلورة في رأي المؤلف . ثم ينتقل بك من موضوع إلى موضوع في رفق ، ولين ، واتزان منطق . أرأيت أسلوب فجر الإسلام ، وضحاه ، وكيف قدم إليك هذه المادة العلمية في ذلك الأسلوب الأدبي مما جعلك تشعر أن الدكتور قد أدب العلم بمرضه وفنه . فأنت أيضا في هذا الكتاب لا تطالع مادة عقلية ، منطقية ، جافة ، ثقيلة ، بل مادة موشاة بألوان الفن مما جعلها أقرب إلى القلب ، وأعلق بالنفس ، وهذا هو سر حياة كتبه ، وتجدد طبعاتها . ومما يزيد هذا الكتاب اتزانا في البحث ، وسلامة في المنطق ، ووضوحا في العرض ، هو تحضير مادته في هدوء ، وعلى مهل ، فلا عجلة ، ولا اضطراب ثم بعد أن تحضر هذه المادة تدرس لطلاب الجامعة . فيزيدها هذا تركيزا ، واستجلاء وتفوعا ، لأن في عرضها إشاعة الضوء في كثير من جوانبها ، واستبانة مادق على النظر عند تحضيرها، فإذا ما انتهت من عمل المؤلف واجتازت بوتقة الدرس فقد وصلت مبرأة من المآخذ ، خالية من الشوائب . وهذا ما يحسه القارئ في كل مبحث من مباحثه وباب من أبوابه . فهو يتناول النقد الأدبي وعناصر الأدب والشعر والنثر . ودراسة العناصر الأساسية للأسلوب ؛ والرواية، ثم نظرة عامة في النقد ، والنواحي التاريخية ، ثم تطبيقات وملاحظات عامة، ثم تاريخ النقد عند الأفرنج ، وعوامل انحلال الكلاسيكية الحديثة ، ثم يتناول النقد عند العرب في الجاهلية ، والعصر الأموي . والنقد في العراق ، والشام ، والعصر العباسي ، إلى آخر ما يتعلق بهذا الموضوع

هذه هي بعض المباحث التي يضمها هذا الكتاب القيم الذي يجمع دقة البحث العلمي وجمال العرض الفني . ومن المباحث الجيدة في الكتاب ذلك البحث الذي تناول فيه الدكتور الرواية ، وتتبع نشأتها، وأنواعها، وعناصر كل منها، وأيضاً البحث الذي تناول فيه النقد، والنقد كأدب، ومهمة النقد، والنقد الاستدلالي، والنقد الحكمي ، ومؤهلات الناقد ، وذخيرة الناقد كل هذه

ديوان ابن أبى ربيعة

نشره فضيلة الأستاذ الشيخ محيى الدين عبد الحميد

شخصية ابن أبى ربيعة من الشخصيات التى كانت ولا زالت محورا لكثير من الدراسات التى تناولت سمات فنه الشعرى ، وحاولت أن تبرز ملامح شخصيته الأدبية ؟ وأن تضع تراثه فى ميزان النقد ، وأن تفسر تلك الألوان التى تطابع شعره ، والتى يتفرد بها ابن أبى ربيعة بين شعراء جيله . وهى ذلك الولع بالحديث عن المرأة ، وتلك الأحاديث الشعرية التى يقصها الشاعر عن مغامراته . وغرامياته فى ميدان الهوى ؟ ومسارح الصبابة ؟ ومقدار ما فيها من صدق فنى ونفسى وتاريخى ؟ وهل كان صادق العاطفة يصدر فى شعره عن بواعث نفسية ؟ كل هذه قضايا طال تجاذب الرأى فيها . ورغم كل هذا فشخصية ابن أبى ربيعة من شخصياتنا الأدبية التى استطاعت أن تشغل كثيرا من الأقلام فى سبيل استجلائها فنيا ونفسيا ، غير أن هذه الدراسات التى قامت حوله على تطاول العصور ؟ لم تنسق وتنشر نشرا علميا ، بحيث تكون بين يدى الباحث الأدبى والتاريخى والنفسى وثائق يستطيع أن يصدر حكمه على ضوئها . هذا ما يتعلق بالدراسات التى قامت حوله . وشعر ابن أبى ربيعة أيضا فى حاجة قوية إلى بذل المجهود اللغوى الذى يتصل بضبط ألفاظه وشرحها ، لتصبح سهلة التناول ميسرة السبل على الباحث

وقد تمكن الأستاذ الجليل الشيخ محيى الدين أن يجمع كل ما قيل حول هذا الشاعر ، وأن يتولى ضبط ألفاظ الديوان ، وشرحها شرحا لغويا أولا ، ثم شرحا أدبيا ثانيا ليمهد على قدر الإمكان السبيل أمام القارئ ليتذوق ويدرس ، ثم عمد إلى ما امتازت به صناعة ابن أبى ربيعة من حيث استعمال بعض التراكيب التى خرج بها عن لغة قريش ، فعرض لهذه المسائل مع استشهاده لذلك ، ثم تتبع الألفاظ التى استعملها عمر جانب فيها معاجم اللغة ، ثم ختم الكتاب ببيان الشعر الذى نسب إلى عمر فى بعض كتب الأدب وليس من شعره . وقد أنفق فى هذا العمل عامين كاملين يجمع النصوص ويقارنها ويصححها ، ويقوم بضبطها وشرحها ، حتى تهيأ له أن يخرج هذا الكتاب الذى نيف على الخمسمائة صفحة من القطع الكبير . وقد قسمه إلى أربعة أقسام : الأول يشمل أخبار عمر ، والثانى آراء العلماء فيه ، والثالث يشمل الديوان ، والرابع الشعر الذى نسب إلى عمر وليس له . ولا شك أن هذا العمل يعد مساهمة جديدة للشيخ محيى فى نشر ذخائرنا الأدبية

محمد عبد الحليم أبو زيد

البريد الأدبي

بين الإسلام وحركة التسلح الخلقي

نشرت مجلة « الأزهر » الغراء كلمة تحت هـذا العنوان في جزئها العاشر لسنة ١٩٥٢ أشارت فيهـا إلى المصلح الاجتماعي الدكتور فرانك بـكمان فوصفته بأنه قصد إلى تغيير المجتمع بتغيير أفراده ووسيلته أن يتسلح كل فرد بمبادئ يأخذ بها نفسه في غير تساهل ، ومن هـذه المبادئ الاتجاه إلى الله والاصغاء إلى أوامره وطاعته ، وأن يحاسب المرء نفسه كلما أذنب مصمما على أن يتجنب الرذائل ، وأن يتعاون الأفراد على تحقيق هذه المبادئ كي تسود في المجتمع « فالانقسام من علامات عصرنا ... والاتحاد مطلبنا العاجل . والانقسام نتيجة التكبر والحقد والشهوة والخوف والطمع وهو من صنع المادية وهو العلامة التي تميز بضاعتها »

وهذا تلخيص موجز بليغ لحركة التسلح الخلقي .. وقد أشارت المجلة أيضا إلى فصل عقده أحد الكتاب في المجلة الإسلامية التي تصدر باللغة الإنكليزية في ووكنج بإنجلترا مقارنا فيه مقارنة طريفة بين مبادئ الإسلام الخلقية وبين ماتدعو إليه حركة التسلح الخلقي . ومما قاله هـذا الكاتب وهو هولاندي يدعى فرانز ستال أن التوبة في الإسلام هي وسيلة تغيير الأفراد وهي سلاح خلقي عظيم

وقد أحسنت مجلة الأزهر بإيرادها الإشارة إلى رأيه في المقارنة بين الآداب الخلقية في الإسلام وبين حركة التسلح الخلقي بعد تلخيصه مبادئ تلك الحركة

وبقى أن يلم القارئ إلمامة سريعة بالأسباب وبالظروف التي دعت إلى نشأة هذه الحركة ، ولما كان كاتب هذه السطور أحد الذين اتصلوا بهذه الحركة الخلقية وحضروا بعض المؤتمرات التي دعت إليها جماعة التسلح الخلقي في سويسرا وخطب في تلك المؤتمرات مقارنا بين مبادئ الإسلام وبين أهداف هذه الحركة ، فمن واجبه أن يتحدث عما رآه وماعرفه عنها

كان الدكتور بوكمان يعمل سنة ١٩٢١ مدرسا في مدرسة أمريكية وكان منهجه في الحياة أن يقضي في التدريس نصف العام ويقوم برحلات في أرجاء العالم المختلفة في النصف الآخر وفي خلال سنة ١٩٢١ دعي لحضور مؤتمر (نزع السلاح) في واشنطن وكان السفر إلى تلك المدينة يستدعي بيت ليلة في عربة النوم بالقطار — وقد سافر ولكنه لم ينم الليلة وانحصر تفكيره في (نزع السلاح) وفي الأسباب التي دعت إليه . ووصل التفكير إلى أن السلاح الذي لاينزع والذي لاخطر على الخير في استعماله وفيه على الشر الخطر الأكبر هو سلاح الخلق

في هذه اللحظة كان مولد فكرة التسلح الخلقي وقد كان من بين ما فكر فيه أن الحرب الكبرى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) التي أدت إلى مؤتمر نزع السلاح لم تحدث (تغييرا) في العالم ولم تفرق بين ماقبلها ومابعدها ؛ وفكر بمثل المعنى الكريم الذي تضمنته الآية

« إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » ــ فجعل وسيلته لنشر مبادئ التسلح الخلقي في الدعـوة إلى التقوى وفسرها بأنها الاصغاء لصوت الله وطلب الوقاية منه دون غيره ، وقال في نفسه إن الله لن يحدث تغييرا في الناس حتى يحدث التغيير لما في أنفسهم ، فقرر أن يستقيل من عمله وأن يتفرغ لدعوته ؛ فالدعوة وفقا لنشأتها كانت رد فعل لويلات عالمية ، واستجابة لدعوة بنزع السلاح تجنبا لتكرار المأساة الدامية ، وصراعا مع العوامل التي كانت تهب لتصل إلى الحرب العالمية الثانية

وقد حدثت تلك الحرب وكان من بين آثارها تعليم الناس أن ميدان القتال ليس هو وحده مجال الحروب ، فالحرب في المجال الاقتصادي وفي ميادين العمل وفي الأسرة وفي كل مكان سببها التكالب على المادة ولاسبيل إلى وضع حد لها إلا التمسك بالخلق ومحاربة الأنانية

وكما نشأت الحركة في أعقاب حرب فقد زاد نشاطها وكثر عدد المؤمنين بها بعد الحرب العالمية الثانية وكان هذا رد فعل لها وصراعا للعوامل التي لاتزال تدب لتصل بالدنيا إلى حرب عالمية ثالثة

وكلما خطت هـذه الحركة خطوة في سبيل توحيد الناس بالتمسك بما لاخلاف عليه بين أديانهم ومصالحهم ومرافقهم ــ خطت هذه الحركة خطوة في هذا السبيل تبين أنها تتأثر الاسلام وتصاحبه قاصدة إلى أهدافه

وليست هـذه الحركة ذات عصبية فهي ليست بالهيئة التي

تدعو إلى الانضمام إليها ولكنها فكرة يعاش بهـا وشعارها « أن فى العالم من الخيرات مايكفى حاجة كل إنسان ولكن ليس فيه ما يكفى مطامعه »

وقد كان لى فى أحد المؤتمرات فى سويسرا شرف الموازنة بين الاسلام وبين مبادئ هذه الحركة ؛ كما خطب فيها من المسلمين من شهدوا بأنها تتآزر مع ديننا الحنيف وتتمشى معه رجال مسؤولون من بينهم سعادة محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق وسعادة عبد الرحمن عزام الذى أكد « أنه يعضدها على اعتبار أنها تتوافق كل التوافق مع العقيدة الاسلامية »

الاسكندرية — أحمد عوضه

براعم شعراء الشباب

لا خوف على براعم شعراء الشباب فى مصر وفى البلاد العربية مهما قست الظروف وضاق نطاق الصحف والمجلات وعجز الشعراء عن طبع دواوينهم لسبب من الأسباب.. لا خوف على هؤلاء الشعراء ما تذرعوا بالصبر ، وتدرعوا بالجهاد ، وأقبلوا على نظم الشعر برغبة حارة وقوة دائبة وشعور لا يغيض

هكذا قلت لنفسى حين قرأت الكلمة التى تفضل بتوجيهها إلى مشكورا — الأستاذ محمد على جمعة الشايب فى العدد ٩٩٣ من الرسالة ، وهو يبدى مخاوفه من هذه الأزمة الشعرية لدى الشعراء الناشئين الذين تعرض الصحف والمجلات عن نشر أشعارهم وأكثرهم ما يزال فى دور البدء والتكوين ، وإنما المهم دائما الإقبال على النظم وإمعان النظر وإدامة الفكر فيما ينبغى أن يقال على نهج جديد ، وروح جديد . وسيأتى يوم لكل مغمور فيشهر ، ولكل مجهول فيعرف ، ولكل مظلوم فينال حقه المهضوم ... وخير للشاعر أن يظهر أمام الناس قمة عالية تتطلع إليها الأنظار ، من أن يبدو وهدة سحيقة تتخطاها العيون وتدوسها الأقدام

أحمد أحمد العجمى

إذاعتنا الفراء

لست أجانب الحقيقة لو قلت : إن إذاعتنا المصرية (الفراء) أوشكت أن تعلن إفلاسها ، وتثبت أنها عاجزة عن مسايرة أهزل إذاعات العالم جميعها ..

إن برامج إذاعتنا الفراء لا تشجع مطلقا على الإقبال عليها، ولا على تتبع محتوياتها ، فنسمة أعشارها حشو من الأغانى الغثة ، والتمثيليات التافهة التى لا تثقف عقولا ولا ترقى أفكارا ولا تنهض بشعب

لا تسل عن ركن الأطفال الذى هو مزيج من الأناشيد المكررة، والقصص المفزعة ، والأصوات المنكرة، ولا تسل عن ركن المرأة الذى لا يتصل برسالة المرأة فى الحياة إلا من جانب الكماليات الأرستقراطية . ولا تسل عن ركن الريف الذى هو خلو مما يفيد الريف ويوضح آلامه ويحل مشكلاته وينهض بأهله.. لا تسل عن ركن من هذه الأركان أو غيرها حتى لا تتميز من الغيظ حسرة وأسفا على إذاعتنا الفراء ..

لعلك اضطررت اضطرارا ليلة تأليف الوزارة الهلالية الثانية إلى تتبع برامج الإذاعة لعلك تستريح إليها ولو خلال لحظات ، ولعلها تنال منك ولو ذرة واحدة من رضاك ، فاذا سمعت فى تلك الليلة المشهودة التى تستمع فيها بلاد العالم إلى إذاعة مصر ، لتقف على حقيقة الأحوال فيها ، والتقلبات السياسية المفاجئة . إن إذاعتنا لم تكن — بالطبع — مستعدة لتسترنا فى مثل هذه الليلة ، فأبت أن ترحمنا من أغانى فيلم (فى الهوا سوا) وفيلم (من القلب للقلب) ، وكل ما تكرمت به علينا أن أذاعت علينا وثائق استقالة الوزارة السابقة ، وتأليف الوزارة اللاحقة ، دون أن تكرم ولو بتعليق واحد سياسى على تقلبات السياسة فى مصر ، وهل هى فى مصلحتها أم فى غير مصلحتها ..

أما بقية الليلة فقد قضاها (ميكرفون) الإذاعة الفراء بالجمالية بالقاهرة ليذاع علينا من هناك الاحتفال بمولد العارف بالله (سيدى) مرزوق الأحمدى ، وواصل الشعب المصرى الكريم السهر إلى قبيل الساعة الواحدة صباحا يستمع إلى (أبيض الوجه ، وجميل القد ، وأحمر الوجنتين ، وأكحل العينين) من قصائد وتواشيح الشيخ طه الفشنى . !

وبعد فإن المذياع ليعتبر من أهم وسائل النهوض بالشعوب والتقدم بها ، والعمل على رقيها ورفع مستواها الثقافى . ولكن يظهر أن مصر هى البلد الوحيد الذى كفر بهذا الاعتبار وتنكر له وسخر منه ؛ لأنها نكبت بإذاعة لا تتساوى مع إذاعات العالم إلا فى الاسم وكفاها بهذا فخرا !

نفيسة الشيخ



الوطنية

مترجمة عن الإنجليزية

تزوجت من (هانز) — وهو أحد الجنود الألمانيين — لعام واحد قبل الحرب العالمية الضروس التي أهلكت كل حي ودمرت كل شيء ، بالرغم من أني فرنسية الأصل والجنس ... وكان أول عهدي به أن لاقيته في معرض من معارض الفنون في (باريس) — وكان قد ذهب إليه زائرا — فلما سمعته يتكلم الفرنسية بطلاقة تحدثت إليه ، فلكني حديثه العذب الفكه ، وأسرني غزله المرح الرقيق ، فكان ما كان ، وانتهى بنا الأمر إلى الزواج بعد قليل

وتركت وطني راضية لأعيش مع زوجي (هانز) في قرية صغيرة من قرى ألمانيا . وعشت بين أحضان عائلته في سعادة ورفاهية ، ورغد وبلهنية . وصار أصدقاؤه مع مضي الزمن أصدقائي ، وخلصاؤه خلصائي ، وأقاربه أقاربي ! وما مضى على وجودي بينهم غير قليل حتى تعلمت كيف أتكلم الألمانية ، وحتى كدت أنسى أنني كنت فرنسية الجنس واللغة في يوم من الأيام . ونقلني (هانز) بما حباه الله من قوة وسحر إلى دنياه فذقت لذة الهناء ، وحلاوة الصفاء ، ومتعة الحب

ولكن هذا النعيم لم يدم طويلا وا أسفاه ! فقد أعلن لي (هانز) في يوم من الأيام — وقلبه يفيض فرقا — أن ألمانيا قد أعلنت الحرب على أعدائها ، وأنه سيسافر إلى ميدان القتال لأن اسمه قد درج بين أسماء المحاربين هناك ... ثم رجاني أن أعود إلى (باريس) — في الوقت نفسه — خوفاً من أن تجد ظروف تحول بيني وبين ذلك . وقد كان (هانز) — بالرغم من كل ذلك — على يقين من أن الحرب لن تستمر أكثر من ثلاثة شهور على أكثر تقدير ، وأنه سيعود إلي بعد ذلك . .

وأحسست بعد أن أفقت من صدمة هذا النبأ الفاجع ، وهول هذا الخبر المؤلم — أن حبي لزوجي (هانز) أقوى وأعنف بكثير من حبي لوطني (فرنسا) ! وشعرت أن كل ما هو حبيب إليه أحب إلى نفسي من كل ما سواه ، وأن كل ما هو عزيز عليه أعز على قلبي من كل ما عداه . ومن أجل ذلك أهبت بنفسي أن أكون ما حييت فداء لهانز وللقيصر ولألمانيا ... متحملة في سبيل ذلك ما قد ينتابني من الألم أو يمسني من السوء ...

وودعت (هانز) وأرسلته إلى المعركة ، وقلبي يفيض إعجابا ونفسي تتيه فخارا . وقد كنت أنا أيضا أعتقد أن الحرب ستضع أوزارها عما قليل ، وأن (هانز) سيعود إلي سليما قويا آمنا . وانقضت شهور عدة فما خمد لهيب الحرب وإنما ازدادت الممالك المشتركة فيها عدداً وعددا . وكان (هانز) يرسل إلي بين الحين والحين بعض الرسائل — وهو في ميدان القتال — فكنت أجد فيها قليلا من المتاع واللذة ، وشيئاً من الراحة والطمأنينة ، ووميضاً من السلوان والأمل ! ولكني ما كنت أريد إلا أن أرى وجهه ، وأسعد به في جواري مرة أخرى !

* * *

أواه يا قلبي !

إنني ما رأيت (هانز) بعد ذلك اليوم أبدا ، وما كنت أحسب أنني قد ودعته الوداع الأخير ! فقد تراءى إلي أن طائرة فرنسية دمرت الكمين الذي كان يختبئ فيه — بعد مضي عشرة شهور من بدء الحرب — فقضى نحبه محترقا . وكاد الحزن يفقدني عقلي ويورثني الخبل ...

ومن ذلك اليوم تولدت في نفسي الكراهية والبغضاء لفرنسا وتمنيت لو استطعت أن أثأر لزوجي أو أنتقم له من أولئك الذين قتلوه ! وأحببت لو أن فرنسا خرجت منهزمة منكسرة من الحرب، بل مدمرة مهدمة مخربة ! ولكن السنين — واحسرتاه — قد خيبت ظني ، إذ وقعت الهزيمة على ألمانيا ؛ فملأت الأحلام المفزعة فؤادي ، وأفعمت الأوهام القاتلة خيالي ؛ فصدقت كل ما يقال عن قسوة الألمانيين ، وكل ما يذاع من أنباء اعتدائهم على الأطفال الآمنين والنساء الضعيفات . فدعوت الله من قلب خالص أن ينصر القيصر ويكتب له الفوز المبين !!

... وفى يوم من أيام سبتمبر من عام ١٩١٨ أجلى الفرنسيون الألمان عن قريتنا ، ولكن الألمانيين تمكنوا — قبل غروب شمس ذلك اليوم — من استرداد قريتهم المسلوبة ومحاصرتها وتطويقها..

واستيقظت على حين غرة على صوت مزعج ودوى هائل وضجيج وجلبة فى حجرة الاستقبال التى فى الطابق الأسفل من منزلى ، فارتديت مناميتى على عجل وأضأت المصباح الكهربائى الذى ينير الدرج ثم هبطت الدركات مسرعة يدفع بعضى بعضاً

* * *

فماذا رأيت هناك ؟

... لقد رأيت جنديا فرنسيا يرتدى ملابسه العسكرية متكئاً بجانبه على المنضدة ، والدم يتفجر غزيراً من جرح فى رأسه ، وكانت سترته ملطخة بالوحل ، وعلى وجهه أثر مما يعانى من الألم ويقاسى من الجهد ...

وما كاد الرجل يرانى — وأنا أقترب منه — حتى ألقى إلى نظرة فيها كل معانى الاسترحام كأنما يستجدى بها المعونة ، ويرجو بها الغوث . ثم مد إلى إحدى يديه كأنما يعلن إلى أن لا لا حول له ولا قوة

فقلت له بلهجتى الفرنسية الوطنية : « هل يؤلمك هذا الجرح كثيراً ؟ »

ففتح الجندى عينيه على مهل ثم قال : « هل سيدتى ... فرنسية ؟ »

وما أدرى لماذا أحسست ساعتئذ بثورة فى دمى وهزة فى جسمى ، وخفقان فى قلبى !

وقلت للجندى : « نعم ، إننى فرنسية ، ولكنى مقيمة هنا .. إنى ... انا ... ! »

وأمسك الجندى بذراعى ثم قال : « إن الواجب يحتم عليك أن تساعدينى . لقد حسبنى زملائى ميتا فتركونى ، والآن يجب على أن أرجع إلى صفوفنا ! يجب على ... »

وما كاد يتم كلامه حتى سمعت دقا عنيفاً على الباب ، وصوتاً عالياً ينادى : « أيتها السيدة ! ... أيتها السيدة »

كانت فى منزلى حجرة صغيرة اعتاد (هانز) أن يقضى فيها شؤونه الخاصة ؛ فلما مات أغلقت بابها الصغير ثم غطيته بستر عن الأبصار . وأبقيت الحجرة على ما كانت عليه ، فلم أتناول أى شىء فيها بتغيير أو تبديل كأنها مكان مقدس لا يمس ، أو كأنها الوئل الذى يستريح فيه زوجى ويطمئن إليه

وماأدرى ماالذى دفعنى إلى أن أنتهك هذا الحرم المقدس فى ذلك الموقف العصيب !

لقد قدت الجندى الفرنسى إلى الحجرة فرفعت الستر عن بابها ، ثم فتحته ، وبعد أن أدخلته فيها أغلقت بابها ثم أعدت الستر إلى موضعه

واشتد الدق على الباب الخارجى عنفاً ، وما كدت أفتحه حتى دخل منه جندى ألمانى ضخم الجسم كبير الجرم أحمر الوجه فدفعنى جانباً وزاحنى عن طريقه ، ثم أخذ يجول فى أنحاء البيت كيفما شاء باحثاً عن الجندى الفرنسى . ففتش المطبخ ثم الحمام فلما لم يجد غريمه اندفع يرقى الدرج إلى أعلى

وتلبثت فى موضعى حتى عاد إلى ، وحرصت على أن أكتم شعورى ، وأكبح عواطفى ، وأدفع عن نفسى رجفة كادت تهزنى . وحاولت أن أبعد عينى عن الستر حتى لا ألفت نظر الألمانى إليه

وما كاد الجندى يقف أمامى وجهاً لوجه حتى أدركت أنه مخمور لايعى ! .

وقال لى بصوته الغليظ الخشن : « إننى ... إننى أظن أنى قد رأيت كلباً فرنسيا يجرى فى فناء دارك وما أرتاب فى أنه قد تسلق الحائط ودخل منزلك من النافذة... إنى ... إنى ... ! »

فأجبته بهدوء : « لقد بحثت بنفسك فلم تجد أحداً هنا »

وكان من العسير عليه أن يدرك مايقول أو يفكر فيه فقال : « أنا ... أنا ... لقد أخطأت .. أنا ... أنا ... »

وانتشرت على شفتيه ابتسامة شيطانية ما رأيت أخبث منها ثم قال : « هل تعيشين هنا .. وحيدة ؟ ! »

فأجبته : « نعم . إننى أعيش هنا وحيدة منذ أن قتل زوجى »

فاقترب منى شيطاناً فاجراً ، وعربيدا داعرا ، ومخموراً خبيثاً وهو يتمتم : « وعلى ذلك فأنت تعيشين هنا وحيدة ؟ ! »

ولكن بالرغم من كل ذلك لم أتحرك من موضعى ولم أتزحزح

عنه ، بل قلت له : « ألا تظن أنه من المستحسن أن تخرج الآن لتبحث عن الكاب الفرنسي فلعلك عاثر عليه ؟! »

ولكنه أجابني — بعد أن طوق خصري بذراعه وضمني إليه بعنف — : « لا .. لا .. لقد ذهب .. و .. وأنا لا أريد أن أبرح هذا المكان .. بل أريد أن أمكث هنا بأية طريقة !! »

وأحسست بعد ذلك بشفتيه تنطبقان على عنق . ثم قال : « ستكونين — ولا ريب — متساهلة لينة الجانب معي ... أليس كذلك ؟! »

وحاولت أن أدفعه بعيداً عني ثم قلت له : « أرجوك ... »

ولكنه ضمني إليه بقوة ، ثم تتابعت أنفاسه سراعاً وهو يقول : « لا تقاومي ... فلن تجديك المقاومة شيئا . لابد مما أريد ... وتستطيعين أن تنسي كل شيء عندما أتركك إن كنت لا تريدين أن ... ... لاتقاومي ... !! »

وهممت أن أصرخ مستغيثة ولكني تذكرت أن صراخي سيجلب دون ريب عدداً كبيراً من الجند ، وأن هؤلاء سيفتشون وسيبحثون من جديد عن الجندي الفرنسي . فقلت للجندي الألماني : « أرجوك ... أرجوك أن تدع هذا لوقت آخر ... ... !! »

فقهقه الرجل ثم قال : « لوقت آخر ؟! وقت آخر ؟! ربما يكون ذلك عندما أموت !! »

وما تلبث حتى حملني على ذراعيه وأخذ يصعد بي الدرج إلى أعلى . ولكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى سمعنا صوتاً يقول على حين غرة : « إنني آسف ياسيدتي على ما سببت لك من تعب .. ! »

وما سمع الألماني هذا الصوت حتى أنزلني من فوق يديه وأوقفني على قدمي ، ثم أدار وجهه فيما حوله وإذا ... وإذا بالجندي الفرنسي واقفا أمامه وجهاً لوجه ، منتصب القامة ، مرفوع الهامة ، بالرغم مما يقاسي من جراحه ، وما يعاني من آلامه ! وإذا به يبسم لنا بالرغم من أنه يكاد يغمى عليه من الألم ، ويغشى عليه من الجهد والإعياء.

***

إنني سجينك الذي تبحث عنه ، وأسيرك الذي ترجوه ، إنني حاجتك وطلبتك ... ومادام الأمر كذلك فهيا بنا إذن نذهب من هنا ونترك هذه السيدة الكريمة في سلام وطمأنينة !! »

هكذا قال الجندي الفرنسي للجندي الألماني الذي أذهلته المفاجأة فوقف مرتبكا لايدري ماذا يفعل . وأخيراً قال هامساً في نفس متقطع « نعم ... نعم ... إنك سجيني ! »

وخرج الرجلان من داري وسارا معا ؛ وعلى ثغر الفرنسي ابتسامة لاتفارقه ، وعلى وجه الألماني حيرة وذهول !

وما رأيت الجندي الفرنسي بعد ذلك اليوم أبداً. فياليت شعري هل مات في الحرب أم هو مايزال حيا إلى اليوم ! ؟ ولو أنني رجعت إلى (باريس) بعد الحرب لما تباطأت في البحث عنه حتى ألقاه فأشكره على ما أسدى إلي من عارفة وماقدم إلي من جميل

ولكنني وا أسفاه لم أعد إلى فرنسا ، لأن حياتي فيها تزوير على نفسي ؛ ولم أبق في ألمانيا ، لأني فجعت فيها بموت زوجي الذي كنت أعيش من أجله على أرضها ، بل أتيت إلى إنجلترا لأبدأ حياة جديدة ، وما نسيت هذه الذكريات المؤلمة في يوم من الأيام بالرغم من مرور هذه السنين الطوال

م . سه